تحليل الخطاب العام حول أحداث الثورة المصرية كما تعكسه الرسائل النصية على قناة الجزيرة مباشر

دكتور/ طارق سيد أحمد الخليفىّ
أستاذ مساعد – كلية الآداب والعلوم الإنسانية
جامعة الملك عبد العزيز

مقدمـــة:

شكلت ثورة ٢٥ يناير أحد أهم ثورات ما سُمي بالربيع العربيّ، التي استهدفت إحداث تغيير جذريّ، وشامل للأوضاع السياسية، والاقتصادية، والاجتماعية في بعض الدول العربية. ولقد شهدت مصر خلال هذه الثورة كثير من الأحداث أو التفاعلات كان لها انعكاساتها، وتأثيراتها، التي لا يمكن إنكارها على مسار الثورة المصرية، فمنذ تنحي مبارك، وتسليم السلطة إلى المجلس العسكريّ، وتولي هذا الأخير مسئولية إدارة العملية السياسية في مصر، شهدت البلاد أحداثاً كثيرة اتخذ بعضها شكل مظاهرات حاشدة (مليونيات) وبعضها الآخر اتخذ شكل إضرابات واعتصامات (أو ما عُرف بالمطالب الفئوية) لبعض قطاعات من المواطنين المطالبين بحقوقهم الاقتصادية، وهكذا تنامت المطالب التي تمحورت حول العيش بكرامة، وتحقيق العدالة الاجتماعية؛ تلك المطالب التي شكلت أهداف الثورة، ومطالبها (من عيش، وحرية، وكرامة إنسانية).

كما شهدت مصر أيضاً بعض من الأحداث والتداعيات التى يمكن وضعها تحت عنوان رئيس هو ما أطلق عليه الثورة المضادة المتمثلة في رفض قطاع من المواطنين للثورة من الأساس، ووصفها بأنها فوضى وتخريب، ومؤامرة على مصر، يدعمهم في ذلك هؤلاء الذين كانوا يفيدون من النظام السابق من رجال أعمال فاسدين، وأصحاب المصالح، وغيرهم ممن تتعارض مصالحهم مع الثورة، وما تسعى لتحقيقه من أهداف.

وفي ظل هذا السياق العام كان هناك أحداث بارزة منها مثلاً ما عُرف بأحداث محمد محمود، ومجلس الوزراء التي أعقبت مظاهرة (عُرفت بمليونية المطلب الواحد) طالبت المجلس العسكري بتحديد جدول زمني محدد لتسليم السلطة للمدنيين بوصفه مطلباً رئيساً، إضافة إلى رفض وثيقة السلمىّ، والمطالبة برحيل حكومة عصام شرف. وهكذا شهدت الفترة من ١٩ نوفمبر وحتى ٣٠ نوفمبر ٢٠١١م أحداثاً مهمة منها استقالة حكومة عصام شرف، وتكليف الدكتور كمال الجنزوريّ بتشكيل حكومة (سميت حكومة إنقاذ وطنيّ) وكذلك إجراء الانتخابات البرلمانية في مرحلتها الأولى، وإعلان نتائجها.

وتجاه هذه الأحداث، وغيرها كان لوسائل الإعلام دور مهم في التفاعل معها ببرامجها، وتغطياتها المباشرة ؛ فعبرت عن هذا المشهد السياسيّ المضطرب ولا نبالغ إذا قلنا إنها أسهمت في تفاعلاتها، ومجرياتها في أحيان أخرى إذ ظهرت كثير من الخطابات التى تقدم صورة ما يحدث، وتطرح تفسيرات له. وهذه الخطابات عبرت عن قوى فاعلة في المجتمع بعضها يمثل السلطة المهيمنة متمثلة في المجلس العسكريّ، وبعضها يعبر عن خطابات للقوى، والأحزاب، والحركات، والتيارات السياسية الأخرى. ونتيجة ما لاحظه الباحث من تعدد للرؤى والتصورات وإجمالاً تعدد الخطابات المطروحة في وسائل الإعلام نشأت فكرة الدراسة الحالية.

أولاً– مشكلة الدراسة وأهميتها:

إزاء كثرة الخطابات المطروحة، وتعددها (مثل: خطاب المجلس العسكريّ، وخطاب الأخوان المسلمين، وخطابات القوى، والأحزاب السياسية القائمة قبل الثورة مثل: الوفد، والمصريين الأحرار والخطابات الأخرى لبعض المؤسسات كالأزهر الشريف، والكنيسة المصرية، والدعوة السلفية... إلخ). فضلاً عن خطابات وسائل الإعلام (حكومية، وخاصة) – ذلك الخطاب الإعلاميّ المؤسسيّ الذي يطرح هو الآخر عدة من الرؤى، والتصورات، والتفسيرات للأحداث (ولمسار الثورة المصرية عامة) – يضاف إلى ذلك خطاب الحركات الاجتماعية، والسياسية مثل: حركة ٦ إبريل، والجمعية الوطنية للتغيير، وحركة كفاية... وأيضاً ذلك الخطاب المناهض للثورة المرتبط ببعض أصحاب المصالح ممن كانوا يمثلون رموزاً للنظام السابق، أو ممن كانوا ينتفعون منه أو تتلاقى مصالحهم معه، وأخيراً خطاب رجل الشارع العادىّ أو المواطنين العاديين ممن دفعتهم الأحداث إلى التعبير عن آرائهم، ووجهات نظرهم – إزاء كل هذه الخطابات قرر الباحث أن ينحاز إلى خطاب الجماهير، ليتخذ منه موضوعاً للدراسة.

وتتحدد مشكلة الدراسة الحالية في "تحليل الخطاب العام حول أحداث الثورة المصرية كما تعكسه الرسائل النصية القصيرة على قناة الجزيرة مباشر" هذا الخطاب العام Public Discourse، أو خطاب الجماهير هو خطاب الناس العاديين المتابعين

للأحداث الذين نادراً ما يجدون نافذة للتعبير عن آرائهم تجاه خطاب السلطة المُهيمن، وخطاب وسائل الإعلام بتنوعاته، وانحيازاته، ولذلك كان الاهتمام بهذا الخطاب العام الذي يُعبر عنه بواسطة الرسائل النصية القصيرة SMS التي يرسلها هؤلاء إلى قناة الجزيرة مباشر.

ليست هذه الدراسة الحالية إلا محاولة لتفكيك هذا الخطاب العام، أو فك شفرته للتعرف إلى ما ورائه من افتراضات، وميول فكرية، ومفاهيم. فتحليل الخطاب العام حول أحداث الثورة يهدف إلى تحديد أنماط ذلك الخطاب، ومقولاته، والتعرف إلى سماته، أو خصائصه العامة، والنوعية، وتفسيرات ذلك الخطاب لما يحدث، واتجاهاته، وانحيازاته. وإجمالاً تُعد الدراسة محاولة من جانب الباحث، للفهم، والتفسير، والتأويل لهذا الخطاب العام معتمدة على استراتيجيات تحليل الخطاب النقديّ وأسلوب الدراسات الكيفية في دراسة الظواهر الإعلامية.

وترجع أهمية الدراسة الحالية، ومبرراتها إلى عدة من النقاط أهمها:

* إن الاهتمام بخطاب الجمهور (العوام / العامة) – ذلك الخطاب العام الذي يختلف عن الخطاب الإعلاميّ الذي تنتجه مؤسسات رسمية، وتوجهه– يعني إعادة الاعتبار، والتأكيد على أدوار المواطن العادي أو ذلك الجمهور النشط المهتم والمشارك بالسياسة، أو على الأقل المهتم بالشأن العام.

* إن الدراسة الحالية بمثابة دراسة توثيقية للتعبيرات العفوية الصادرة من الجمهور الذي يتابع قناة الجزيرة مباشر في تلك المرحلة التاريخية، والتي يرى الباحث أنها لحظة فارقة في تاريخ الشعب المصريّ، وهي الإمساك بتلابيب اللغة كما يستخدمها عامة الناس في أثناء التوترات، والأزمات السياسية في فترات التحول السياسيّ والاجتماعيّ ومن ثم تُعد محاولة لاستنطاق النصوص، أو الرسائل النصية؛ لرصد الخطاب الكامن فيها بمقولاته، وقضاياه، وتوجهاته، ومرجعياته.

* كما تؤكد الدراسة على أهمية البحوث الكيفية، وضرورتها في دراسة الظواهر الإعلامية ولاسيما دراسات الخطاب في المجال الإعلاميّ التي لا تهدف إلى التوصيف

للوقائع أو الإخبار عن الأحداث الجارية فقط ولكن تهدف –أيضاً– إلى الفهم، والتفسير، والتأويل.

* ويرجع اختيار الباحث لقناة الجزيرة مباشر إلى اتساع نطاق الجمهور الذي تغطيه هذه القناة فى العالم العربىّ، ووقوف قناة الجزيرة تحديداً فى جانب الثورات العربية إضافة إلى منطلقاتها المهنية، وسياساتها التحريرية "وتغطياتها الإخبارية التي تتجاوز كثيراً من المحظورات في منطقة الشرق الأوسط، فضلاً عن أنها تبث صوراً وحقائق عن الأحداث فى أثناء حدوثها، وأحياناً دون تدخل تحريرىّ كما يحصل على قناة الجزيرة مباشر التي تتيح لمشاهديها الفرصة لرؤية الصورة بأنفسهم قبل أن يتم توجيههم تحريرياً أو التأثير فى آرائهم، ومواقفهم إزاء تلك الأحداث"[١].

* إن قناة الجزيرة مباشر JSC Mubasher تنقل الكثير من الفاعليات السياسية، والثقافية، والاجتماعية لحظة وقوعها على الهواء مباشرة من قلب الأحداث ومن ثم يتمكن المشاهدون من المعايشة اللحظية للحدث فى الوقف نفسه، بخلاف القنوات الأخرى التي تعرض أجزاء من الفاعليات وليس كلها، وبذلك تنقل الجزيرة مباشر الواقع لحظة حدوثه، كالمؤتمرات الصحفية للرؤساء، ورؤساء الوزارات، والندوات التي تقيمها الأحزاب السياسية، والمظاهرات، والأحداث الجارية حول العالم[٢].

ثانياً– الدراسات السابقة:

قام الباحث بمسح التراث العلمىّ المتعلق بمجال الدراسة، وتصنيفه إلى أربعة محاور، وذلك على النحو الآتى:

الدراسات المختصة بدور القنوات الفضائية في الديمقراطية، ودعم التعددية:

١– قدم عز الدين عبد المولى دراسة بعنوان "دور الجزيرة في التحولات الديموقراطية، وتأسيس فضاء عربيّ عام" استهدف من خلالها تحليل الآثار الديمقراطية لقناة الجزيرة، وحاول اختبار قضية رئيسة تتمثل في مدى تمكن الجزيرة من تقديم إطار فكرىّ؛ لتعدد الآراء، وتنوعها، والاعتراف المتبادل بين مختلف الأطراف، وما إذا كانت استطاعت

بالفعل تعزيز الجهود الديمقراطية بالمنطقة، وكان من بين ما توصل إليه أن ظهور القنوات الفضائية أدى إلى تغيير الطريقة التي يستقبل بها الجمهور المحتوى الإعلاميّ، وكذلك طريقة تعاطيه مع ما تبثه هذه القنوات من محتوى سياسيّ، كما كان لقناة الجزيرة دور ريادىّ في تغيير الأسلوب الذي يعبر من خلاله المواطن العربىّ عن نفسه، وتمكنه من فهم الأحداث المحلية، والإقليمية، والعالمية. وتوصل الباحث أيضاً إلى أن قناة الجزيرة تمكنت من إيجاد فضاء تواصلىّ عربىّ جديد، وكان لها دور لا يمكن إنكاره في عمليات التغيير ولاسيما تشكيلها لثقافة سياسية تعددية، وصياغتها خطاباً سياسياً مفتوحاً مع الآخر، وقابلاً للتعايش معه[٣].

٣- وحول تأثير القنوات الفضائية فى المجتمعات العربية فقد قدمت الباحثة مي شيغينوبو أطروحتها حول "تحليل أثر تحديد الأجندة" في قناة الجزيرة العربية. واهتمت بتقييم الأطر الإخبارية التي تستخدمها القناة عند تناولها لبعض الأحداث. فقامت بدراسة ثلاثة برامج حوارية على القناة، وهي الاتجاه المعاكس، وأكثر من رأي، وبرنامج بلا حدود خلال عامى ٢٠٠٦، ٢٠٠٧م، وقارنت بين أربعة أحداث جوهرية تناولتها القناة هي الحرب على العراق، والحرب على أفغانستان، وقضية الصراع العربىّ الإسرائيلىّ، وقضية إيران النووية – واستطاعت الباحثة مناقشة تأثير بعض العوامل مثل: الإعلانات، والملكية، والضغوط السياسية، وانتماءات الصحفيين الفكرية، والسياسية فى تشكيل الأطر الإخبارية التي تقدم بها هذه الأحداث، وما يثيره تناولها الإعلاميّ من جدل سياسىّ ودينىّ واجتماعىّ. و تأثير مثل هذه البرامج في إيجاد اتجاه نحو الفرقة، أو اتجاه نحو الوحدة بين المشاهدين العرب، وقد توصلت الباحثة إلى أنه برغم ما يثيره تناولها الإعلاميّ من جدل سياسىّ فقد أتاحت قناة الجزيرة الفرصة لبلورة خطاب سياسىّ تعددي في العالم العربىّ، بيد أن كثرة القنوات الفضائية، وتنوع الخطاب لم يكن كافياً؟ لإفراز حالة من التعبئة السياسية، والاجتماعية. ولذا كان من أهم النتائج التي خلصت إليها الدراسة أن التكامل بين القنوات الفضائية، وشبكات التواصل الاجتماعي هو الذي أدى في النهاية إلى التعبئة المناسبة لإنتاج الربيع العربىّ[٤].

٣- وفي دراستها حول "تأثير السي إن إن، والجزيرة في السياسة والمجتمع الدوليين" توصلت ميغان إليزابيث إلى تنامي دورهما في المجتمع السياسىّ الراهن من خلال

ما تبثه من مادة إخبارية، ومحتوى برامجيّ، واتضح أنهما يمارسان ضغوطاً على قادة العالم؛ لمعالجة مشاكل المجتمع، ويوفران مجالات ومنابر عديدة، لتعبئة الرأي العام، وتحريكه، والسماح للجماهير بالمشاركة[٥].

٤- وحول العلاقة المتبادلة بين القنوات الفضائية، وجمهورها قام زياد الحديثيّ في دراسته "العلاقة المتبادلة بين القنوات الفضائية ومشاهديها، الجزيرة كحالة للدراسة" باستخدام منهج البحث الكيفيّ؟ لتقييم أداء القنوات العربية مركزاً على الجزيرة، ودورها في تهيئة ذهنية المشاهد العربيّ وبناء ما يعرف بالرأى العام العربى. واتضح له حرص القنوات على تعميق فهمها لاحتياجات الجمهور وتوجهاتهم لا سيما أن لهذه التوجهات صلة وثيقة بسلوكهم العمليّ، واختياراتهم السياسية، والاجتماعية[٦].

٥- وفي إطار دور الشبكات الإخبارية العابرة للحدود في التحول السياسيّ اهتم كاي حافظ بدراسة الدور الفكريّ الذي يمكن أن تلعبه قناة الجزيرة، وغيرها من الشبكات الإخبارية العابرة للحدود في عملية التحول السياسيّ، و مدى قدرتها على إثارة الحوار، وإمكانية أن تصبح بديلاً عن الأحزاب السياسية و توصل من خلال دراسته الى أن الفضائيات العربية و منها قناة الجزيرة لها دور مؤثر في القيام بمهام التحول الديمقراطيّ، لأنها تساعد المجتمع على فتح حوار حول الإصلاح الديمقراطيّ، وبذلك ترسخ أجندة التغيير الديمقراطيّ بحيث تصبح هي صوت الشعب، وتتيح للمقهورين التعبير عن أنفسهم في وسائل الإعلام أى أنها تقوم بدور الوساطة بين الدولة والمجتمع[٧].

٦- وفي أطروحة تبحث فى طبيعة العلاقة بين الجزيرة والجمهور العربيّ بعنوان "الديمقراطية وسياسة تشتيت الانتباه: الجزيرة والعالم العربيّ" حاولت غورينا كولن الكشف عما إذا كان بمقدرة الإعلام التقدميّ ممثلاً في الجزيرة المساعدة في إيجاد مجتمع مدني ليبرالي في ظل حالة القمع التي يتعرض لها المواطنون بالمنطقة العربية. وتوصلت إلى أن الجزيرة وفرت منبراً حوارياً منفتحا على مختلف الآراء، ووجهات النظر، و متحررا من القيود على حرية التعبير، وأنها توفر تغطية تبدو متوازنة، وبرمجة متنوعة، ومتكاملة وتشكل منبراً للمشاهدين العرب يتحاورون، من خلاله فيما يهمهم من قضايا الشأن العام[٨].

الدراسات المختصة بعلاقة قناة الجزيرة بالثورات العربية وثورة ٢٥ يناير ٢٠١١م:

٧- دراسة الباحث محمد علي "الجزيرة والثورات العربية": والتى تناول خلالها بعض برامج الجزيرة الحوارية مثل: (الاتجاه المعاكس، وبلا حدود، وما وراء الخبر) وركز على تحليل التغطية الإخبارية لثورات ليبيا، وسوريا، واليمن، والبحرين عبر البحث في أرشيف القناة للتغطية الحية والمباشرة سواء أكان في الأخبار أم التقارير أم المقابلات أم فى التحقيقات الميدانية. وتوصل الباحث إلى أن قناة الجزيرة استطاعت أن تتيح مساحة واسعة من التغطية للثورات؛ من أجل الحفاظ على استمراريتها، وقيادة حركة التغيير الديمقراطيّ في المنطقة العربية، كما ناقش الانتقادات الموجهة للجزيرة من حيث موضوعية تغطيتها، وطبيعة أجندتها، وعلاقتها مع دولة قطر، وتوصل إلى أن القناة تحظى بالاحترام، وتنتج أخباراً صادقة، وتحليلات سياسية جدية، وتعرض للموضوعات المحظورة التي لا تجرؤ أي وسيلة إعلامية أخرى على مناقشتها، وأنها تحدت هيمنة الأنظمة العربية السلطوية[٩].

٨- دراسة إبراهيم صالح حول "تغطية الجزيرة للثورات العربية من وجهة نظر الشباب اليمنىّ " واستهدف الباحث التعرف إلى تقييم الشارع اليمنىّ لقناة الجزيرة في تغطيتها للثورات العربية عامة والثورة اليمنية خاصة، كما ناقش مدى حيادية القناة في التغطية الإخبارية، وجاء فى نتائج الدراسة أن ٦٤% من الشباب اليمنيّ ترى قناة الجزيرة محايدة جداً في تغطيتها لأحداث تونس، بينما رأى ٣٢% أنها منحازة واتضح تحيز القناة، وتغطيتها للثورة المصرية وللمعارضة المصرية بنسبة ٩٠% تقريباً وكذلك في ليبيا بنسبة ٩٢% تقريباً. وأفادت نسبة ٦٨% تقريباً أن القناة تتمتع بدرجة كبيرة من الاستقلالية، كما يرى ٩٨% وجود توافق بين سياسة قناة الجزيرة، وسياسة قطر، وأن القناة تحظى بمصداقية عالية بنسبة (٨٠.٥%)[١٠].

٩- وفي دراسة حول دور الجزيرة، وشبكات الإعلام الاجتماعىّ في ثورتىّ تونس، ومصر اهتمت الباحثة راكيل بالترابط بين قناة الجزيرة الفضائية، وشبكات التواصل الاجتماعىّ، ودورهما في إفساح المجال لدائرة واسعة من الأحداث التي لم تكن مسموعة في السابق؛ للتعبير عن أنفسهم مما أعطى للأفراد قوة هائلة للحراك الثورىّ، ومنحهم الدليل في

وجه الأنظمة الاستبدادية لاسيما في ضوء الانتشار، والاستخدام الواسعين من جانب الجمهور[١١].

١٠– دراسة غالية بديوى: تغطية الجزيرة العربية، والجزيرة الإنجليزية لأحداث الشرق الأوسط: الثورة المصرية نموذجاً، وفي هذه الدراسة تركز الاهتمام على محاولة التعرف إلى طبيعة الاختلاف في السياسة التحريرية بين القناتين، وحدوده، والأسباب التي تقف وراءه، واعتمدت الدراسة على تحليل المضمون من خلال عقد مقارنة بين برامج إخبارية مماثلة في كل من الجزيرة العربية، والإنجليزية؛ لتحليل تغطية القناتين للثورة المصرية[١٢].

١١– وفي دراسة حول دور الجزيرة في الثورة المصرية اتضح أن قناة الجزيرة تعد القناة الأكثر مشاهدة في مصر من بين الفضائيات الإخبارية العربية والعالمية لاسيما في ضوء فقدان الجمهور الثقة في المعلومات التى يقدمها الإعلام الرسمىّ، وحاولت الدراسة تحليل الدور الذي قامت به الجزيرة في الثورة المصرية لاسيما بعد قرار الجزيرة بوقف البرامج الروتينية، وفتح تغطياتها لأحداث ثورة ٢٥ يناير ٢٠١١م على مدار الساعة، وتوصلت الدراسة إلى أن للقناة دوراً مهماً بوصفها أداة في دعم التحولات الديمقراطية في العالم العربىّ، كما كان لبرامجها دور مهم في خروج الجماهير المصرية إلى ميدان التحرير، واعتصامهم بساحته إذ عملت قناة الجزيرة بوصفها قوة توحيد عظمى للمصريين[١٣].

١٢– وفي دراسة مقارنة لكل من الجزيرة والبي بي سي حول تغطية احتجاجات ميدان التحرير في الفترة من ٢٥ يناير، وحتى ١١ فبراير ٢٠١١م– ومن خلال منهج التحليل الكميّ والكيفي لدراسة المضامين، والقيم الإخبارية، والكيفية التي أطرت بها الفضائيات أحداث الاحتجاج، وتمكين المتظاهرين من تحقيق أهدافهم– اتضح أن هناك اختلافات واضحة في التغطية، حيث انحازت التغطية لصالح المتظاهرين المؤيدين للديمقراطية عامة بيد أن قناة الجزيرة كانت منحازة لصالح المتظاهرين أكثر من قناة BBC ؛التي كانت أكثر حياداً في تغطيتها[١٤].

الدراسات المختصة بالخطاب الإعلامىّ لقناة الجزيرة:

١٣– دراسة منجي مبروكي وموضوعها "محددات إنتاج الخطاب الإعلامىّ لقناة الجزيرة بين التجديد التكنولوجىّ والتوظيف الإعلامىّ" وهذه الدراسة عبارة عن قراءة في ظروف نشأة قناة الجزيرة بوصفها قناة إخبارية ضمن منظومة إعلام عربىّ ظل لعقود موجهاً ويحكمه منظور شبه أوحد للشأن الوطنىّ، والدولىّ بما لا يسمح بالتنوع، والاختلاف. وحاولت الدراسة فهم استراتيجيات التغيير في الخطاب الإعلامىّ العربىّ من حيث حدوده، وآفاقه وكذلك استقراء محددات إنتاج الخطاب الإعلامىّ لقناة الجزيرة، وتوصلت الدراسة إلى أن القناة حاولت الخروج عن ضوابط النمط الإعلامىّ العربىّ، وقدمت نفسها على أنها قناة كل العرب واستعرضت الدراسة أيضاً عوامل مثل: الخط التحريرىّ للقناة، ومنهجية انتقاء العنصر البشرى وتوظيفه، وقدرات القناة المالية، والتكنولوجية وهو ما أتاح لها الانتشار، والتجديد، والمنافسة(١٥).

١٤– دراسة عبد السلام رزاق: الخطاب الإعلامىّ لقناة الجزيرة الفضائية، وصناعة الرأي العام: والتى تناولت إشكاليتين: الأولىّ هي البحث في بنية الخطاب الإعلامي لقناة الجزيرة، والثانية– هي دور القناة في صناعة الرأي العربىّ العام. وقد قسم الباحث المراحل التي مرت بها قناة الجزيرة لعدة من المراحل انتهت بمرحلة أطلق عليها مرحلة احتضان الثورات، وتبني خيار إعلام المواطنة. وكان من ضمن نتائج الدراسة أن قناة الجزيرة مثلت بوتقة، لصهر كل الخطابات السياسية فى الشارع العربىّ سواء اسلامية كانت أم قومية أم اشتراكية أم ليبرالية كما أنها استطاعت إعادة صناعة الرأى العربيّ العام، وتوجيهه وفق منظور جدلي وحققت التعددية، والسجال فى الفضاء العام العربى(١٦).

دراسات مختصة بالخطاب الإعلامىّ لبعض القوى الفاعلة في فترة الدراسة:

١٥– دراسة د. محمود خليل حول خطاب المجلس العسكرىّ، والتي قام فيها بتحليل ١٠٠ رسالة أصدرها المجلس، ورصد التحولات في ذلك الخطاب، ففي البداية كان خطاب المجلس يعكس لهجة استرضاء إذ أظهر شباب الثورة بأنهم أطهر شباب مصر بيد أنه

تحول من الاسترضاء إلى الاستعلاء الذي عكس شعور المجلس العسكرىّ بأنه استطاع إحكام قبضته على السلطة. وبدأ هذا التحول في الظهور منذ استفتاء ١٩ مارس الذي أوهمت نتيجته ذلك المجلس العسكري بأنه حصل على الشرعية . ويستخلص دكتورخليل أن بيانات المجلس بدأت تعكس وجه السلطة القديم مرتدياً العباءة اللغوية لسلطة مبارك، والاعتقاد بأنه الوريث الشرعىّ لهذه السلطة إذ اجتهد المجلس في الربط بين المجلس ومصر، والتأكيد على أن الإساءة للمجلس تعني الإساءة لمصر، ثم تصاعدت لهجة الخطاب لتتخذ شكل التحذير، والتهديد، وفي حين كانت بيانات المجلس تحذر من وصف الثوار بالبلطجية في بداية الثورة إلا أنها بمرور الوقت، وتسارع الأحداث، والمطالبات بإسقاط حكم العسكر بدأت بوصف الثوار بالبلطجية، واختفت عبارة يا شعب مصر العظيم التي كانت تفتتح بها بيانات المجلس العسكرىّ، وهكذا انتقل المجلس في خطابه من تكتيك الاسترضاء إلى تكتيك التوجيه الناصح، ثم التهديد والوعيد وأخيراً تزييف الواقع، وتشويه صورة الثورة[١٧].

١٦– دراسة فاطمة الزهراء: قراءة في تحولات خطاب المجلس العسكرىّ خلال عام من الحكم. وفي هذه الدراسة قامت الباحثة بقراءة تحليلية لعدد ١٢٥ مادة للمجلس العسكري (٧ بيانات، ٩٩ رسالة على الفيس بوك، ١٠ مؤتمرات صحفية و٩ خطب وكلمات للمشير محمد طنطاوىّ في الفترة من ١٠ فبراير٢٠١١م حتى ١٠ فبراير ٢٠١٢م للتعرف إلى المقولات الرئيسة لخطاب المجلس العسكرىّ، وكيفية تقديمه لنفسه من حيث الصفات، والأدوار، والإطار الذي قدم فيه الفاعلين الآخرين، وقد توصلت الباحثة إلى بعض النتائج منها أن خطاب المجلس العسكرىّ يؤكد على دور المجلس، والقوات المسلحة في حماية الثورة، وأنه يسعى للتوافق، وأن هذا الخطاب قدم صفة المجلس العسكرية على صفته السياسية بوصفه درع الوطن يقوم بمهمة وطنية، كما وفي المقابل جاءت صورة المتظاهرين، والقوى السياسية في هذا الخطاب مشوشة، ومتذبذبة بين الإشادة، والاتهام، كما استخدم الخطاب الإعلامىّ للمجلس المؤامرة بوصفه إطاراً تفسيرياً للأزمات وأحال كل الأزمات إلى مؤامرات يُحيكها أعداء في الداخل، والخارج وَحَرَص هذا الخطاب على اتباع قدر من التعتيم عند الحديث عن تجاوزات ارتكبتها الشرطة العسكرية[١٨].

تعقيب على الدراسات السابقة:

***أشارت كثير من الدراسات السابقة إلى دور القنوات الفضائية في عمليات التحول الديمقراطي سواء أكان من ناحية تعزيز تعدد وجهات النظر وإتاحة الفرصة للجدل السياسي من خلال إتاحة الأخبار والتحليلات أم كان من خلال إثارة الوعي والتعبئة السياسية، والاجتماعية، وممارسة الضغوط على القادة، والزعماء السياسيين؛ لمعالجة مشكلات مجتمعاتهم.**

***توصلت بعض هذه الدراسات إلى فاعلية قناة الجزيرة في دعم الديمقراطية في العالم العربيّ وذلك بإتاحتها خطاباً سياسياً تعددياً في منطقتها، وتوفير منابر، ومجالات؛ لتعبئة الرأي العام، وإثارة الحوار بشكل قريب من الدور الذي تقوم به الأحزاب السياسية.**

***تناولت الدراسات علاقة قناة الجزيرة بجمهورها، ومدى قدرتها على إيجاد مجتمع مدنيّ ليبراليّ في ظل قمع الحريات، وكثير من المحظورات السياسية، والاجتماعية في السياق العربيّ إضافة إلى ضغوط الملكية، وانتماءات القائمين بالاتصال، الفكرية، والسياسية.**

***اهتمت الدراسات بدور قناة الجزيرة في الثورات العربية، والثورة المصرية، وتوصلت إلى أن القناة تحظى بالاحترام في تغطيتها المباشرة للأحداث، ولديها قدر كبير من الاستقلالية، والمصداقية وأنها استطاعت إعطاء قوة هائلة للحراك الثوريّ في دول الربيع العربي مما جعلها تحظى بالنسب الأكبر من المشاهدة خلال الأحداث فضلاً عن انحيازها للمتظاهرين من الثوار. مما جعل خطابها الإعلامي يسعى للخروج عن النمط الإعلاميّ العربيّ باحتضانها للثورات.**

***ألقت الدراسات الضوء على خطاب بعض القوى الفاعلة في الأحداث في مصر وتحديداً خطاب المجلس العسكريّ وتحولات هذا الخطاب، وتصاعد لهجته في العداء للثوار، وكيفية تقديمه لنفسه، من حيث الصفات، والأدوار. ولقد أفاد الباحث من معظم هذه الدراسات على تنوع مداخلها النظرية وتساؤلاتها. ولكنه لاحظ في الوقت نفسه عدم تركيز أي من الدراسات على تحليل الخطاب العام للجمهور العاديّ، ومن ثم كان اهتمام الدراسة الحالية بدراسة هذا النوع من الخطاب، وكيفية تفاعله مع الأحداث.**

ثالثاً– أهداف الدراسة، وتساؤلاتها:

يسعى الباحث في دراسته الحالية إلى تحقيق هدف رئيسى يتمثل فى رصد و تحليل و تفسير الخطاب العام حول أحداث ثورة ٢٥ يناير على النحو الذى عكسته الرسائل النصية على قناة الجزيرة مباشر فى الفترة من ١٩ نوفمبر و حتى ٣٠ نوفمبر ٢٠١١م. و بعبارة أخرى تعد الدراسة محاولة لتفكيك الخطاب العام للكشف عن أنواعه أو أنماطه و سماته و مقولاته الرئيسية . وفى حدود هذا الهدف العام تسعى الدراسة الى تحقيق عدد من الأهداف الفرعية تكشف عن اتجاهات ذلك الخطاب و انحيازاته و كيفية تفسيره للأحداث.

ومن أجل الوصول إلى هذه الأهداف، أو تحقيقها ثمة مجموعة من التساؤلات تطرحها الدراسة من بينها:

١– ما أنواع الخطاب التي تكشف عنها الرسائل النصية على قناة الجزيرة مباشر.

٢– ما هي سمات ذلك الخطاب، وخصائصه العامة؟

٣– ما هي أبرز المقولات التي يطرحها هذا الخطاب تجاه الأحداث، ومدى تفاعله معها؟

٤– إلى من ينحاز الخطاب، وما هي اتجاهاته؟

٥– كيف يفسر الخطاب المطروح الأحداث، وعن من يُعبر من القوى الموجودة، أو المؤثرة في هذه الأحداث؟

رابعاً– الاستراتيجية المنهجية للدراسة:

١– المفاهيم:

نعرض هنا لأهم مفاهيم الدراسة المستخدمة، ونعرفها إجرائياً:

* الخطاب العام Public Discourse:

يستخدم الباحث مفهوم الخطاب العام في هذه الدراسة؛ ليشير إلى الأقوال، والنصوص المكتوبة التي تصدر عن جمهور قناة الجزيرة مباشر ، الذي يعبر عن وجهة نظره

تجاه الأحداث السياسية الجارية، مدافعاً عن رأيه في هذه الأحداث من خلال مجموعة من العبارات، أو الجمل المكتوبة. وهي عبارة عن تعليقات على ما يعايشه من أحداث.

* تحليل الخطاب Discourse Analysis:

نعني بتحليل الخطاب هنا محاولة تفكيك الخطاب، أو فك شفرة النص للتعرف إلى ما ورائه من افتراضات، وميول فكرية، أو مفاهيم، أو محاولة التعرف إلى الرسائل أو المقولات التي يود مُنتج النص (أو الجمهور)أن يرسلها، ويضعها في إطار سياسيّ، واجتماعيّ محدد.

* النص Text:

يقصد به بنية النص الداخلية التي تتألف منها المفردات، والتراكيب، والجمل. ومن ثم فإننا نميز في هذه الدراسة بين تحليل الخطاب بوصفه محاولة؛ للكشف عن الخطاب أو الخطابات التي تكمن داخل النصوص المكتوبة، والنص الذي هو مجرد كلمات، أو عبارات مكتوبة، وتحليل الخطاب هنا لا يعني الاهتمام بالنصوص المكتوبة في حد ذاتها من حيث بناؤها اللغويّ بل يعني محاولة الكشف عما يحمله النص من خطاب تجاه ما يحدث في الواقع السياسيّ، والاجتماعيّ. وبناء على ذلك فإن الرسائل النصية القصيرة SMS – تلك الرسائل التي تظهر على قناة الجزيرة مباشر في توقيتات تعلن عنها القناة، وتتوالى عبر شريط أسفل الشاشة – هي عبارة عن نصوص مكتوبة مكونة من كلمات، وعبارات تم صياغتها بأسلوب معين، وهي تحمل داخلها خطاباً عاماً يعبر عن وجهة نظر مرسليها.

* السياق Context:

يقصد بالسياق في هذه الدراسة سياق إنتاج الخطاب، على اعتبار أن الخطاب لا يمكن فهمه في ذاته بل في إطار تفاعلاته مع المواقف الخارجية تأثيراً وتأثراً. فالخطاب شكل من أشكال الممارسة الاجتماعية له هدف، أو أهداف كما أن له مرجعية، أو مصادر تشتق منها توجهاته، ولا يمكن فهم الخطاب إلا في ضوء هذا السياق. فالعلاقة بين الخطاب، والسياق علاقة تأثير وتأثر، فالخطاب من ناحية هو انعكاس لواقع اجتماعيّ وسياسيّ محدد

وهو في الوقت نفسه يسهم في تشكيل ذلك الواقع؛ ولذلك يتخذ السياق في هذه الدراسة مَعْنيَيْن يطلق عليهما الباحث السياق العام، والسياق الخاص. إن السياق العام هو سياق الثورة (ثورة ٢٥ يناير) المتمثل في وجود حالة من عدم اليقين، والارتباك في المشهد السياسيّ، والاجتماعيّ. أما السياق الخاص للخطاب فهو يتمثل في مجموعة الأحداث المحددة التي تجري على أرض الواقع والتي تمثلت في أحداث محمد محمود، ومجلس الوزراء، وما أعقب ذلك من استقالة حكومة عصام شرف وتكليف الجنزورى بتشكيل حكومة (إنقاذ وطنيّ) وإجراء المرحلة الأولى من الانتخابات البرلمانية.

٢- نوعية الدراسة:

تنتمي هذه الدراسة إلى فئة الدراسات الكيفية Qualitative studies "التي تعد إطاراً منهجياً يحدد اتجاهات البحث في الظواهر، والمشكلات الإعلامية في وجود أفكار، ومقولات تختص بها يضعها الباحث من خلال آليات التعامل مع الظاهرة مثل: الملاحظة المباشرة أو رصد معاني الرموز السائدة ودلالاتها... وغيرها التي تجعل الباحث يتصدى من خلال التأمل، والحدس، والإطار النظريّ للتجارب السابقة إلى وصف الظاهرة، ومحاولة الكشف عما يعتقده حقيقة في حركة هذه الظاهرة، وعناصرها"[١٩].

ولأن البحث الكيفي يعطي تقريراً عن الواقع، والحياة الاجتماعية – وهما في حاجة دائمة إلى إعادة النظر فيهما والنقاش حولهما – فإن تلك الحاجة للتوصيف المستمر، وهذه الممارسة التفسيرية التي يتضمنها البحث الكيفيّ تشابه ما نفعله في حياتنا اليومية من مجموعة إجراءات، وشروط نحاول من خلالها فهم الواقع، وتنظيمه، وتمثيله[٢٠].

٣- الإجراءات المنهجية:

العينة، والإطار الزمنيّ: تمثل عينة البحث عينة عمدية من الرسائل النصية التي يرسلها الجمهور إلى قناة الجزيرة مباشر؛ لتظهر على شريط أسفل الشاشة، إذ تعلن القناة عن أوقات تلقي هذه الرسائل، والأرقام المختصة بالتواصل. ولقد قام الباحث بمتابعة قناة الجزيرة مباشر في الفترة من ١١/١٩ وحتى ٢٠١١/١١/٣٠م، وكتابة جميع الرسائل النصية التي ظهرت على الشاشة خلال هذه الفترة. وساعد على ذلك سياسة القناة التي تقوم بإعادة عرض

الرسائل في الفترات التي لا تتلقى فيها رسائل جديدة مما سمح للباحث باستكمال التدوين، وعمل حصر شامل لجميع الرسائل (خلال اثنى عشر يوماً) هي الإطار الزمنيّ للعينة. ولقد قام الباحث بالقراءة المتأنية لهذه الرسائل، وإجراء عملية تصنيف لها ليس بهدف العد الإحصائيّ بل بهدف محاولة استخلاص لأنواع الخطاب التي تعكسها هذه الرسائل، والقضايا التي يدور حولها هذا الخطاب، وغير ذلك مما يحقق أهداف البحث.

وتندرج الدراسة الحالية ضمن دراسات تحليل الخطاب النقديّ معتمدة على أساليب التحليل الكيفيّ للوقوف على أهم المقولات، والأطروحات السياسية، والاجتماعية البارزة في الخطاب العام تجاه أحداث الثورة فضلاً عن تفاعلاتها مع الظروف التاريخية، والمجتمعية، ولذلك فإن الدراسة الحالية تنطلق من استراتيجية ذات أفق مفتوح للكشف عما هو كامن في النصوص (أو الرسائل النصية) وتحاول الإفادة من استراتيجيات تحليل الخطاب، ومنها.

-استراتيجية تفكيك الخطاب: إذ يحاول الباحث الكشف عن المعاني، والمفاهيم، واستخلاص أبرز الخطابات التي تحملها النصوص، وتحديد أهم المقولات التي يعبر عنها هذا الخطاب.

-استراتيجية التأويل: التي تساعد على فهم الأحداث، والتوصل إلى كيف يفسر الخطاب هذه الأحداث، وكيف يتفاعل معها.

-استراتيجية نقد النص، أو السياق: وهو محاولة الربط بين الخطاب والسياق الاجتماعيّ، والسياسيّ إذ أن الخطاب هو ممارسة اجتماعية لا تفهم إلا في إطار وسياق اجتماعيّ، وتاريخي محدد.

-استراتيجية تحليل القوى الفاعلة: وهي تقوم على كيفية تصور الخطاب للقوى الفاعلة في الأحداث من حيث أدوارها الإيجابية، والسلبية.

خامساً- الإطار النظريّ للدراسة:

١- الخطاب...، النص...، تحليل الخطاب...، السياق...، قراءة في المفاهيم:

يعتقد الباحث أنه من الأهمية بمكان التمييز بين عدد من المفاهيم، التي ربما تختلط، أو تتداخل في معناها. ولعل أولها هو مفهوم الخطاب.

* الخطاب Discourse:

في الواقع لا يوجد معنى واحد لكلمة خطاب Discourse، حتى إذا ما أخذناه بالمعنى التكنيكيّ أو الحرفيّ فإن الخطاب سوف يعني بالطبع، وببساطة حواراً dialogue بين متحدثين غير أنه في إطار علم اللغويات مثلاً نجد أن مفهوم الخطاب يشير إلى الطريقة التي تنتظم، أو تتحد بها العناصر اللغوية لكي تؤسس بناءاً للمعنى يكون أكبر من مجرد حاصل جمع مكوناتها، أو أجزائها[٢١]. ويتفق ذلك المعنى مع تعريف قاموس، أو مسرد العلوم الاجتماعية، والسلوكية لمفهوم الخطاب، "فالخطاب مصطلح يعني أساساً المحادثة وبأكثر دقة يشيرالخطاب إلى هيكل مؤسسيّ أو اطارمن الآراء، والأحاديث التي تبلغ جميع التخصصات، ومن خلال الخطاب – الذي يتكون من عديد من الأصوات– يتم بناء المعنى، وإدارة السلطة[٢٢].

كما تشير موسوعة النظرية الاجتماعية إلى ارتباط مصطلح الخطاب بدوره اللغويّ في النظرية الاجتماعية، وأنه لا ينبغي لنا الخلط بينه وبين استخدام اللغة العادية في الكتابة والكلام، أو المحادثة . فالخطاب يشير إلى الاستخدام العمليّ للغة، وأن كلمة خطاب مستمدة من كلمة لاتينية قديمة Discursus التي تتضمن من بين معانيها التشغيل جيئة وذهاباً[٢٣]. وإذا كنا نلمح من خلال ذلك التعريف أن الخطاب يعنى الحوار في اللغه اللاتينية ،فقد أدت ثورة الدراسات الألسنية، وتطوراتهاالى ذيوع ذلك المصطلح، وانتشاره في حقول معرفية شتى (في الفلسفة، واللغة، والأيديولوجيا، والعلوم السياسية، والقانونية، والسوسيولوجيا، والآداب، والفنون، وأيضاً في اللغة المرئية) حتى أننا لا نكاد نجد حقلاً علميا أو معرفيا يخلو من وجود مصطلح الخطاب [٢٤].

والواقع أن مفهوم الخطاب يثير إشكاليات مختلفة إذ يشير الخطاب إلى كل الأقوال المسموعة، والمكتوبة، والرموز، والعبارات، ، ورغم أن المصطلح يشير في اللغة إلى التعبيرات اللفظية المكتوبة، أو المرسلة في الكلام، كما يشير إلى المناقشات، ومختلف صور

التعبير اللغويّ حول موضوع معين، أو قضية معينة، فإن استخدامه في العلم الاجتماعيّ امتد؛ ليشمل أكثر من معناه اللغويّ فهو يستخدم بوصفه طريقة منظمة للتفكير إذ تنتظم الأفكار والآراء المختلفة، في أنماط متنوعة من الخطاب، و من ثم لا يتكون الخطاب من الجمل فقط ولكنه يشتمل أيضاً على صور الأداء اللفظيّ، والعلاقات التي تستخدم لتحقيق أغراض معينة، ولذلك فإنه لا يعبر عن النصوص والكلام فقط بل يعبر عن سياق من العلاقات التي ترتبط بأفعال، وأقوال في موقف معين[٢٥].

ولقد تعددت الدلالات، والمفاهيم المختصة بالخطاب بتعدد مجالات الدارسين وتخصصاتهم، مما أدى إلى فرض كل حقل معرفيّ مسلماته، وإشكالياته على المفهوم، فبينما يضيقه بعضهم ليقتصر على أساليب الكلام، والمحادثة يوسعه بعضهم الآخر؛ ليجعله مرادفاً للنظام الاجتماعي برمته[٢٦]. بيد أن هذا الاختلاف أو عدم الاتفاق على مفهوم الخطاب، واستخداماته لم يمنع من انتشار بحوث تحليل الخطاب، وتناولها لموضوعات، ومجالات عديدة من بينها تحليل الخطاب الإعلاميّ الذي يعد تطوراً مهماً لمجال التحليل الكيفيّ للوسائل الإعلامية، وشروط إنتاجها، وتداولها، وتأثيرها فى الجمهور فضلاً عن تفاعلاتها مع الظروف التاريخية والمجتمعية[٢٧].

* النص Text:

تختلف دلالة مصطلح الخطاب Discourse عن مصطلح النص text في اللغة الإنجليزية، إذ تتعدد وجهات النظر في هذا الشأن، فبعض الدارسين يرى أنه لا يوجد فرق بين النص، والخطاب؛ لأن كلاهما مرتبط بحقل الدراسات اللغوية، وكلاهما يبحث في البناء، والوظيفة لوحدات اللغة، ويرى آخرون أن النص غير الخطاب فالخطاب يتشكل من ممارسات اجتماعية، وقد ميز هودج، وكريس بين النص والخطاب من ناحية المفاهيم، والإجراءات النظرية، والمنهجية، والأهداف، فالخطاب هو العملية الاجتماعية التي تكون النصوص متضمنة فيها، وتحليل النص جزء من تحليل الخطاب[٢٨].

وإذا ما حاولنا أن نفرق بين النص، والخطاب يمكن القول إجمالاً أن النص غير الخطاب فكلا الحقلين (تحليل النص، وتحليل الخطاب) انبثقا من تطور ألسنيات الجملة،

ولكن كل منهما تعرض لتيارات وضغوط مختلفة أدت إلى نوع من التمايز بينهما، وإن الاختلاف بينهما يرتكز على طبيعة حقل المعرفة الذي يحتضن كلا منها، وهنا يذكر كريس ١٩٨٥م وKress أن تحليل الخطاب يهدف إلى توظيف الرؤية الاجتماعية الشاملة، بينما يقتصر تحليل النص على مجال الألسنيات، وعندما يكون الاهتمام منصباً على مادة اللغة أو شكلها أو بنيتها تكون القضية في المسألة النصية، أماعندما يكون محور الاهتمام على الوظيفةٍ أو الدلالة الاجتماعية للغة فإن القضية تكون في مجال الخطاب، وتتمثل العلاقة بينهما في أن الخطاب يتجسد، ويُعبر عنه في النص، على الرغم من الغموض الذي يكتنف بعض النصوص التي تعبر عن أكثر من خطاب واحد[٢٩].

* تحليل الخطاب Discourse Analysis:

تشير موسوعة نظرية الاتصال إلى مصطلح تحليل الخطاب بوصفه مصطلحاً يشمل العديد من المناهج المختلفة للغة سواء أكان من حيث النظرية أم كان من ناحية الأسلوب ويمكن أن نتتبع مصدر هذه النظريات أو المداخل في علم اللغة والدراسات الأدبية، كما يمكن أن نجد مصدرها في علم الاجتماع، وعلم النفس، وعلم الإنسان، فهم يشتركون جميعاً في الاهتمام بتحليل النص، والحديث، والتركيز على دراسة استخدامات اللغة[٣٠]. ولذلك فإن تحليل الخطاب هو بمثابة دراسة اجتماعية للغة كما تظهر في صورة حديث، أو نص، أو غيرها من صور الاتصال، وتتخذ اللغة بتعقيداتها موضوعاً للدراسة، وبناء الحديث نفسه محوراً للتركيز، وينصب الاهتمام على اللغة بوصفها ظاهرة اجتماعية لاسيما اللغة الفعلية التي يستخدمها الناس في مواقع اجتماعية متباينة وطبيعية ولذلك كان المصطلح المفضل لهذا المدخل هو دراسة اللغة الطبيعية، ويشمل تحليل الخطاب أيضاً أسلوباً لجمع البيانات[٣١].

ومن ثم فإن تحليل الخطاب هو تحليل للنص المكتوب، أو اللغة المنطوقة، أو لغة الإشارة، للكشف عن الخطابات داخلها، أو الكشف عن الأدوات اللغوية، والبلاغية المشاركة في بناء هذه الخطابات، ومصطلح تحليل الخطاب مفهوم يتسع لتقنية تحليل تستخدم من جانب العلماء في مجموعة متنوعة من التخصصات مثل: علم اللغة، وعلم الاجتماع، وعلم النفس المعرفيّ، والعلاقات الدولية، والترجمة، ودراسات الاتصال. وبسبب

هـذا التنـوع فـي الاسـتخدام فمـن المـألوف أن نجـد تنوعـاً فـي الاهتمامـات بـين المحللـين للخطاب بين من يهتم بتحليل الإيماءات، والأصوات، أو العلاقة بين الخطاب والسلطة، كما نجد تنوعا في تعريفات الخطاب نفسها بين تعريف بسيط يرى الخطاب عبارة عن التبادل اللفظيّ بين النـاس أو مـن يـراه عبـارة عـن مجموعـة مـن الصـور الذهنيـة، أو البنـاء الفـوقيّ المستخدم في بناء الأفكار، أو الأشياء[٣٢].

ويشير قاموس الاتصال، ودراسات الإعلام إلى تحليل الخطاب بوصفه "شكلاً من أشكال تحليل الاتصال الجماهيريّ يركز على الطرق التي من خلالها تقوم وسائل الإعلام بتوصيل المعلومات أوإيصالها للجمهور، وهو يركز على اللغة المستخدمة في العرض، والأنماط اللغوية، وانتقاء الكلمات، والتعبيرات (اختيار المفردات اللغوية)، وقواعد البناء اللغوي، والترابط المنطقي للقصة، وأن تحليل الخطاب يقوم بوصف الأشكال النصية أو احصائها لا سيما التي تقوم وسائل الإعلام من خلالها بالتعبير عن الأيديولوجية للقراء أو للجمهور عموماً[٣٣].

* تحليل الخطاب، والسياق Context:

ينظر تحليل الخطاب إلى الكلام سواء أكان كلاماً منظوماً، أم كان نصاً بوصفه ممارسة اجتماعية تعتمد على مصادر في تفعيلها. يعني ذلك أن الكلام هو ضرب من الفعل، أو التفاعل مع الآخرين، من ثم فإن له صفة الممارسة الاجتماعية. وهو موجه إلى آخرين يتلقونه، وهو يضمر في داخله هدفاً أو أكثر، وله مرجعية، أو مرجعيات، أو مصادر يشتق منها مواقفه، وتوجهاته. ومن ثم فإن تحليل الخطاب لا ينظر إلى الكلام الذي يتم تحليله بوصفه موضوعاً قابلاً للاستقراء في حد ذاته، ولكنه موضوع ذو علاقات، وتشابكات، ودلالات، ورموز، ومعانً، وهو يوجد في داخل سياق context يتفاعل معه، ولا يمكن النظر إليه خارج هذا السياق[٣٤].

ولا نعني هنا بالسياق، السياق اللفظيّ، أو اللغويّ للخطاب. إذ لا يمكن بل يستحيل بداهة أن نكون فروضاً صالحة عن ممارسات الخطاب بمعزل عن المواقف الخارجية عن اللغة... ويستحيل أن نتوهم أن السياق اللفظيّ وحده يكفي في توضيح أي كلمة. ومن ثم

فإن أفكاراً مثل: الحرية، والعدل، والسلام يستحيل أن نعرف شيئاً – شبه موثق– عنها دون ملاحظة الممارسات العملية في بيئة معينة، وسوف تنهار المحاولة كلها إذا ظل الباحث في إطار السياق اللفظيّ وحده فالسياق اللفظيّ، والسياق التجريبيّ ربما لا يتطابقان[٣٥].

٢– تحليل الخطاب وفهم الواقع الاجتماعي والسياسي:

يمكن القول: إن تحليل الخطاب يدرس الافتراضات الضمنية، والقواعد التي يتم من خلالها بناء المعنى...، ولذلك فإن دراسة الخطاب تتطلب إيلاء الانتباه إلى الظروف التاريخية، والاجتماعية التي تصبح ذات مغزى في فهم هذا الخطاب[٣٦].

وعموماً فإن تحليل الخطاب يتجاوز تحليل النص، حيث إن النص عبارة عن تحليل داخليّ لا يتجاوز إطار النص، بينما يتطلب تحليل الخطاب استرجاع الظروف التي أدت إلى إنتاج النص وهو ما نسميه بتحليل السياق. فالسياق هو جزء رئيس من عملية تحليل الخطاب[٣٧].

إننا حين ننظر إلى اللغة بوصفها خطاباً، وممارسة اجتماعية في الوقت نفسه، فإننا لن نلتزم بتحليل النص، وعمليات إنتاجه فقط بل سنقوم كذلك بتحليل العلاقات بين ذلك النص والظروف الاجتماعية (أو ظروف السياق)، وتلك الظروف الأبعد من غيرها، والمختصة بالترتيبات، أو التراكيب الاجتماعية[٣٨]. وهو ما يعني إجمالاً الواقع الاجتماعيّ، والسياسيّ للنص، أو الخطاب. و"بحسب تعبير ميشيل فوكو Micheal Foucault فإن العديد من الممارسات الاجتماعية، والمؤسسات (مثل: التعليم، والسياسة، والدين، والقانون) هي قائمة على كما تُنشئ أشكالاً من الخطاب بشأن العالم الاجتماعيّ، أو عالم الخبرة الاجتماعية ولذلك يعد الخطاب وفقاً لهذه الرؤية أداة لكل من إنتاج المعنى، وتنظيمه داخل سياق اجتماعيّ[٣٩].

إن الخطاب هو طريقة معينة؛ للتحدث عن الواقع، وفهمه، كما أنه مجموعة من النصوص، والممارسات المختصة بإنتاج النصوص، وانتشارها، واستقبالها، مما يؤدي إلى إنشاء الواقع الاجتماعي أو فهمه... إن الخطاب هو كل الأشياء التي تكون العالم الاجتماعيّ بما في ذلك هوياتنا، أو بعبارة أخرى هو واقعنا الاجتماعيّ، وإدراكنا لهويتنا أي انه بدون

خطاب لا يوجد واقع اجتماعيّ. وبدون فهم الخطاب لا يمكن أن نفهم واقعنا، وتجاربنا، أو أنفسنا، ومن ثم تبدو أهمية تحليل الخطاب، فمن خلال منهجية تحليل الخطاب نستطيع تفسير الواقع الاجتماعيّ[٤٠].

وفي الواقع لا يقتصر دور تحليل الخطاب على مجرد فهم الواقع الاجتماعيّ، والسياسيّ، وإدراك أبعاده بل إن دوره يفوق ذلك، ويتعداه نحو محاولة الكشف عن آليات تشكيل ذلك الواقع، وتكوينه " ففي حين تعمل المناهج الكيفية الأخرى على فهم الواقع الاجتماعي أو تفسيره القائم، يحاول تفسير الخطاب التعرف إلى كيف يتم إنتاج هذا الواقع الاجتماعيّ وهذه هي أهم مساهمة من جانب تحليل الخطاب؛ إذ يفحص كيف تقوم اللغة بعكس الظواهر وإظهارها. بعبارة أخرى ينظر منهج تحليل الخطاب إلى الخطاب بوصفه مكوناً للعالم الاجتماعيّ – وليس طريقاً للوصول إلى العالم الاجتماعي – ويفترض تحليل الخطاب أنه لا يمكن التعرف إلى العالم منفصلاً عن الخطاب. وهكذا يتميز تحليل الخطاب بالتزامه بنظرة تفسيرية constructivist اجتماعية مع محاولته استكشاف العلاقات بين النص والخطاب والسياق" [٤١].

ووفقاً لهذه الرؤية السابقة لا يكون الخطاب هنا مجرد أداة عاكسة لأحداث الواقع بل إنه يمتلك رؤية لاسيما في مجال عرضها انطلاقاً من موقف قائم. ويكون تحليل الخطاب هنا معنياً بالتفاعل الجدلي بين الخطاب وما يجري من تحولات في مجرى الحياة اليومية التي تعني الرسائل الاتصالية برصدها، ونقلها[٤٢].

وتشير تلك الرؤية أو ذلك التفسير لدور الخطاب في الواقع الاجتماعيّ إلى تلك الأشكال من تحليل الخطاب التي انصرفت إلى التفكير في تحليل اللغة ولاسيما "اتجاه ما بعد البنيوية Post structuralism، وما بعد الحداثة Post Modernism إذ لم يعد ينظر إلى اللغة بوصفها وسيلة أو أداة سلبية تقوم بنقل المعلومات بسلاسة عن العالم من حولنا، وما يفكر الناس به حول هذا العالم، بل أصبح ينظر إلى اللغة بوصفها أداة فاعلة تشارك في تشكيل العالم وإنشائه من حولنا، وليست مجرد انعكاس لذلك العالم؛ ومن ثم لم تعد اللغة وسيلة محايدة كما كان يعتقد من قبل[٤٣].

إن الحديث عن دور الخطاب في إنشاء الواقع، وتشييده، أو تشكيله يلفت الانتباه إلى علاقة الخطاب بكل من السلطة، والأيديولوجية، وهو ما أشار إليه هيرمان، وتشومسكي إذ قاما بطرح تأثيرات النخب السياسية، والاقتصادية بوصفها قوى فاعلة Actors في بناء الخطاب الإعلاميّ، بيد أن هؤلاء الباحثين يعتقدان أن الدلالة الأدق من غيرها لمصطلح Actors هو الأطراف المؤثرة في صياغة الخطاب الإعلاميّ، والتي لا تقتصر فقط على النخب الاقتصادية، والسياسية بل تمتد لتشمل القوى السياسية الأخرى، ومؤسسات المجتمع المدنيّ، والحركات الاجتماعية السائدة في المجتمع، وفي السياق نفسه يتم التأكيد على أن الأطراف المؤثرة في الخطاب الإعلاميّ تنمو، وتتطور وتتغير من فترة زمنية إلى أخرى في ضوء ديناميات الحياة الديمقراطية(٤٤).

وهكذا فإن المؤسسات الاجتماعية تقوم بإنتاج عدد من الأساليب للتفكير، والطرق للتعبير عنها، ويتمثل ذلك في عدد من العبارات، والمصطلحات "التصريحات تحدد المقبول، وغير المقبول، أو الممكن، والمستحيل اجتماعياً على مستوى ماذا يجب أن يقال وكيف يمكن أن يقال". فهناك خطابات في السياسة والثقافة، والدين، والطب، والإعلام... وهكذا ينشأ لدينا خطاب يلوكه الإعلام، وتجتره المؤسسات، ويفلسفه المثقفون، ويبدأ هذا الخطاب في النمو حتى يصبح بالقوة التي يمكن أن تخلق فعلاً اجتماعياً وسياسياً واقتصادياً أي يتم ترجمة فعلية لفحوى الخطاب على شكل مواقف، وأفعال سياسية، وثقافية، واجتماعية(٤٥).

٣- استراتيجيات تحليل الخطاب:

يُثير تحليل الخطاب عدة من الإشكاليات النظرية والمنهجية، فعلى الرغم من انتشار مفهوم الخطاب، وتحليل الخطاب نجد غموضاً للمفهوم نفسه كما نجد اختلافاً شديداً حول الطبيعة المعرفية للخطاب فنقول: أيمثل الخطاب نظرية؟ أم منهجاً في التحليل؟، إذ استخدمه بعض الباحثين والعلماء على أنه نظرية للتفسير، بينما استخدمه آخرون بوصفه منهجاً في التحليل، ولا يقتصر الخلاف عند هذا الحد بل يتجاوزه إلى صلاحية استخدامه ومشروعيته وعلاقته بالبناء الاجتماعيّ. ويرى د. محمد شومان أن تحليل الخطاب يمثل منهجاً

Methodology وليس فقط طريقة للدراسة Method وأن هذا المنهج يسجل نظرة تفسيرية اجتماعية للواقع الاجتماعيّ، وأن مناهج تحليل الخطاب تشترك في اهتمامها بالآثار التفسيرية للغة، وتعد أسلوباً تفسيرياً للتحليل، وفي هذا الصدد لا يتضمن تحليل الخطاب مجرد مجموعة من التقنيات لإجراء تحليلات كيفية للنصوص، بل يتضمن أيضاً مجموعة من الافتراضات بشأن الآثار التفسيرية للخطاب[٤٦].

إن تحليل الخطاب لا يقدم لنا حلولاً جاهزة للمشكلات، والقضايا التي يثيرها، ولكنه يساعد على أن نفهم السياق الذي تبلورت فيه هذه القضايا، والمشكلات، وأن ندرك طبيعة الافتراضات الكامنة خلفها[٤٧]. ويشترك تحليل الخطاب مع المناهج الكيفية كافة في الاهتمام بما تحمله الحياة الاجتماعية من معانٍ، وفى الوقت نفسه تفترض المناهج الكيفية التقليدية وجود عالم اجتماعيّ ثم تحاول فهم ذلك العالم فيما يختص بالمشاركين(عينة البحث) وبينما تعمل المناهج الكيفية الأخرى على فهم الواقع الاجتماعي القائم أو تفسيره، يحاول تحليل الخطاب التعرف إلى كيف يتم إنتاج هذا الواقع الاجتماعيّ. إن التزام الخطاب بهذه النظرة التفسيرية تجعل منهج تحليل الخطاب يرى أن الخطاب مكوناً للعالم الاجتماعيّ وليس طريقاً للوصول إليه، وأنه لا يمكن التعرف إلى العالم منفصلاً عن الخطاب[٤٨].

إن تحليل الخطاب لا يتبنى اتجاهاً نظرياً معيناً، ولا يرتبط بإطار معرفيّ، بل ينطلق من استراتيجية ذات أفق مفتوح تستدعي أي أطر معرفية، وأساليب تحليلية؛ من أجل أن تكشف عما هو مضمر في النص المقروء أو المسموع أو المرئيّ من معانٍ وتسمح هذه الاستراتيجية في تحليل الخطاب باستخدام استراتيجيات فرعية عديدة[٤٩]. منها ما يلي:

أ- استراتيجية تفكيك النص، أو الخطاب:

ويتم تفكيك الخطاب بالبحث عن المفاهيم، والمعاني المراد دراستها داخل النص[٥٠]، ويتم ذلك من خلال رفض المعنى الظاهري أو نقده، وافتراض وجود عالم مفتوح من المعاني، والعلاقات، وكذلك رفض التفسيرات الثقافية والفكرية الشائعة حول النصوص التي تتحيز لمعنى دون الآخر فالقارئ هنا يتحرر من سلطة الإطار، أو خرافة الإطار (بحسب

تعبير كارل بوبر) ويغوص في داخل النص؛ باحثاً عن المعاني، والدلالات، والتناقضات أحياناً[٥١].

ب- استراتيجية نقد النص، والسياق:

من المتفق عليه أن الخطاب لا ينتج من فراغ بل في إطار سياق تاريخيّ، وثقافيّ، واجتماعيّ محدد ولذلك فلابد أن نقوم بتحليل الخطاب في إطار الممارسة الاجتماعية، ولكي نفهم الخطاب، أو أي خطاب، من الضروريّ أن نربط بين الخطاب، والسياق الاجتماعيّ والثقافيّ، بل أن نربط بين هذا الخطاب ومجمل الخطابات التاريخية المعاصرة[٥٢].

وتنطلق هذه الاستراتيجية من الإمكانات النقدية لتحليل الخطاب، أو ما يطلق عليه تحليل الخطاب النقديّ Critical Discourse Analysis والذي ينظر إلى النصوص على أنها تنتج عبر أفراد ينخرطون في نسيج المواقف الاجتماعية، فالذين ينتجون النصوص يدخلون إلى اللغة وهم محملون باستعدادات مختلفة كما أنهم يحملون في ذاكرتهم تاريخاً ذا دلالات سياسية، وأيديولوجية، ومن ثم فإن اللغة التي يستخدمونها هي لغة مادية تعكس أطراً أيديولوجية محددة. وطالما ارتبطت النصوص بسياق محدد فهي تكشف عن علاقات قوة، وعلاقات هيمنة ولا يمتد النقد الذي يعتمد هذه الاستراتيجية إلى النص فقط بل يمتد إلى كل المكونات المرتبطة ببنية النص كاللغة المستخدمة، وكاتب النص بوصفه مثقفاً أو كاتباً أو منتجاً ثقافياً، والبناء الاجتماعيّ، والثقافيّ الذي يتشكل النص في إطاره[٥٣].

وفي هذا الصدد ينكر ميشيل فوكو Foucault تلك الحالة المعروفة بالحقيقة المطلقة؛ إذ أن هناك عمليات يمكن بواسطتها إقامة الإدعاء بالحقيقة... ولقد وجه ذلك الانتباه نحو القواعد، والممارسات التي يستخدمها المتحدثون، والكتاب؛ لإضفاء الشرعية على موضوعاتهم التي تعالجها حواراتهم، أو نصوصهم وهذا يشجع النظرة النقدية للحقيقة، وادعاءات السلطة لأننا لا ينبغى أن نتعامل مع النصوص أو الخطاب بوصفها تمثيلاً دقيقاً للعالم الخارجيّ[٥٤].

ج- استراتيجية التأويل:

يتألف تحليل الخطاب من ثلاثة أبعاد، أو مستويات، أو مراحل هي[٥٥]:

- الوصف: الذي يهتم بالخصائص الشكلية في النص.

- التأويل: ويهتم بالعلاقة بين النص والتفاعل فالنص منتج لعملية إنتاج وكذلك مصدر لعملية تأويل.

- التفسير: إذ يهتم بالعلاقة بين التفاعل والسياق الاجتماعيّ، والاشتراطات الاجتماعية لعملية إنتاج النص، والتأويل، وتأثيراتها فى المجتمع.

إن تحليل الخطاب لا يخرج عن كونه تأويلاً للنصوص يحتمل الصواب والخطأ، فلسنا هنا بصدد مادة صلبة يمكن الحديث من خلالها عن معايير للصدق، والثبات بل نحن بصدد ميل تأويليّ يحاول فيه قارئ النصوص أن يطل بأفقه التأويليّ على النصوص؛ ليكتشف الآفاق المعرفية، وغير المعرفية التي تضمرها هذه النصوص. والتأويل هو من الفهم... أو محاولة لاكتشاف المعاني المضمرة في النصوص[٥٦]. ولذلك فإن أسلوب تحليل الخطاب لا يقف عند حد البنية السطحية للنصوص بل يتجاوزها إلى محاولته القراءة التأويلية للنص نحو استنطاق مختلف الرموز، والإشارات التي يحيل إليها النص، أو ما يعبر عنه بما لم يقله النص أو ما سكت عنه النص[٥٧].

د- استراتيجية تحليل مسار البرهنة:

في إطار تحليل الخطاب لا تكفي الأساليب المختصة بالتحليل، والتفكيك لمعرفة الجذور، والعلاقات اللغوية؛ للاستدلال على المعنى، ولكن يتطلب تحليل الاستشهادات، والأدلة، والبراهين التي يعتمد عليها المتحدث في الإثبات، ولذلك يعد تحليل مسار البرهنة أحد الأساليب التي يعتمد عليها الباحث في تحديد الحجج البراهين التي يعتمد عليها المتحدث؛ لإثبات المقولات، والأفكار الواضحة، والصريحة في الخطاب، والتي تتخذ أساساً للحكم على الاتجاهات الفكرية، والعقدية للخطاب، والمتحدث[٥٨].

ويتميز تحليل مسار البرهنة بمحافظته على بناء النص، والتعامل مع وحدتين أساسيتين في التحليل. أولهما– المقولات التي تشير إلى فكرة، أو معنى معين، وثانيهما– الحجج، والبراهين التي تؤكد هذه المقولات، أو تنفيها، تؤيدها، أو تعارضها، تدعمها، أو تقلل من قيمتها. وعادة ما تكون الحجج والبراهين هي استشهادات من المتحدث، أو الكاتب بالوقائع التاريخية، أو المقارنات أو المصادر العديدة في الحياة اليومية، أو الاعتماد على المنطق، أو الإحصاءات... وإذا كان رصد المقولات – وهي عناصر بناء الخطاب – تشير إلى وصف العقائد، والأفكار، وخصائصها، واتجاهاتها فإن الحجج، والبراهين تشير إلى عمق التمسك بهذه العقائد، والأفكار، والالتزام بها[٥٩].

وتعد الجملة التي تعكس فكرة ما عنصراً من عناصر تحليل الخطاب، وكذلك الجملة التي تعرض دليلاً أو برهاناً؛ ومن ثم تعتمد الدراسة على دراسة الجمل في إطار السياق الأكبر، لتحديد الاتجاه الفكري وفي هذا الإطار نفرق بين المقولة الفرعية، والمقولة الأساسية التي تعد الإطار الجامع لمجموعة من المقولات النوعية؛ ولذلك يتأكد أهمية وعى الباحث بالوقائع، والأحداث، وأطرها المرجعية حتى يبني استدلالاته بصدق، ويصدر أحكامه بموضوعية مع ملاحظة أن الخطاب الواحد يمكن أن يقدم مقولات عديدة والمقولة الواحدة قد تتكرر في خطابات عديدة كما يعد السياق العام ضرورة للوصف، والاستدلال فيما يتعلق بوصف الفترة، أو المرحلة التاريخية، أو تطور الوقائع، والأحداث أو انتماءات المتحدثين، واتجاهاتهم، أو اتجاه العلاقات بين الوسائل الإعلامية والكتاب والمتحدثين، وكذلك بين القوى الاجتماعية المختلفة[٦٠].

هـ– استراتيجية تحليل القصد، أو التواصلية:

إن كل من الكلام والنصوص – التي هي كلام تم تثبيته عبر الكتابة – تحمل مقاصد يستهدفها المتحدث؛ ليحدث تأثيراً في المستمع، أو القارئ. والقصدية تعني توجيه العقل نحو معنى معين يظهر في اللغة، وهي تعكس المخططات العقلية للمتحدث، أو لكاتب النص، وتوقعاته تجاه المتلقين. ويمكن أن نصنف المقاصد المتصلة بالكلام، أو النصوص إلى أربعة مقاصد[٦١].

– ان المتحدث أو الكاتب يهدف إلى توجيه خطابه نحو نوعية معينة من المستمعين، أو المتلقين ويقصد أن مستمعيه يجب أن يدركوا قصده.

– أن يتجه المتحدث أو الكاتب نحو إخبار الآخرين، أو نصحهم عن طريق التكرار، أو طرح الأسئلة، أو مناقشة فكرة بقصد لفت انتباه المتلقين تجاه قصده مع الاعتقاد بأنه يجب عليهم أن يدركوا هذا القصد.

– أن يتجه المتحدث أو الكاتب نحو صياغة عبارة معينة تلخص فكره أو اعتقاده والتأكيد عليها باستمرار، وأن يحاول جعل هذه الفكرة التي تلخصها العبارة متصله لا باعتقاده هو بوصفه كاتباً أو متحدثاً بل بمعتقدات مستمعيه، أو متلقية.

– أن يحاول المتحدث، أو الكاتب استثارة عاطفة مستمعيه، ووجدانهم مع الاعتقاد بأن هذه الاستشارة للعواطف والوجدان سوف تجعل المتلقين يدركون المقاصد المرجوة من وراء الحديث، أو النص.

و– استراتيجية تحليل القوى الفاعلة:

وتقوم هذه الاستراتيجية على تحديد تصور الخطاب للقوى الفاعلة في القضية محل الدراسة، وكذلك رصد الأدوار التي تقوم بها هذه القوى وتحليلها ، والقيام بعملية تصنيف لأدوارها الإيجابية والسلبية[٦٢].

سادساً– تحليل خطاب الثورة كما تعكسه رسائل الجمهور على قناة الجزيرة مباشر:

سوف نعرض أولاً سمات الخطاب العام أو صفاته؛ حول الثورة ويلي ذلك إلقاء الضوء على ظروف إنتاج هذا الخطاب أو سياقه العام، والخاص توطئة لعرض أنماط الخطاب، ومقولاته، وتفسيراته للأحداث.

١– سمات الخطاب العام، وخصائصه:

ينصب الاهتمام هنا على محاولة الكشف عن سمات الخطاب العام حول أحداث الثورة، وخصائصه المميزة. فمن خلال القراءة المتأنية للرسائل النصية على قناة الجزيرة مباشر اتضح أن أهم ما يميز هذا الخطاب ما يلي:

– الخطاب العام عفوي:

يتسم هذا الخطاب بأنه عفوي يعبر عنه أصحابه دون إعداد مسبق، وهو يتسم بالتلقائية فهو أقرب إلى اللغة العامية في كلماته، وعباراته بل إنه قد يحوي بعض الأخطاء الإملائية، والنحوية، إذ أنه يخلو من الاهتمام بالقواعد اللغوية، أو جماليات اللغة، كما أنه موجز، ومختصر.

– الخطاب العام متنوع:

لا يُعد الخطاب العام خطاباً واحداً بل عدة من الخطابات المتنوعة المتمايزة عن بعضها، فهو متنوع بتنوع منتجي الخطاب، واختلاف شرائحهم وفئاتهم التي تختلف عن بعضها اجتماعياً واقتصادياً وثقافياً بالمعنى الواسع وهو متنوع في الرؤى، وفي الأيديولوجية، وفي درجة الوعي بالأحداث كما يعبر عن مصالح متعارضة، ومن ثم فهو يحوي توجهات مختلفة، أو يرى أصحابه أنه يعبر عن الصواب كل حسب وجهة نظره وانحيازاته ومصالحه وأيديولوجيته. وقناعاته بل ومستوى وعيه وإدراكه للواقع السياسيّ والأحداث الجارية.

– الخطاب العام غير رسميّ، ومستقل:

لا يعبر هذا الخطاب عن جهات رسمية أو مؤسسات بل هو غير رسميّ، ومستقل عن أية جهة، أو هيئة، أو مؤسسة هو ببساطة خطاب رجل الشارع العاديّ؛ ولذا يبدو أنه لا تحكمه أية استراتيجيات، ولا يوجه من خلال سياسات، أو قواعد ملزمة، فالأفراد يعبرون عن آرائهم بكامل الحرية ودون الالتزام بقواعد رسمية، أو سلطوية تنظيمية تقيد كلامهم، أي لا تحكمه ولا توجهه مؤسسات رسمية.

– الخطاب العام هادف، ومواكب للأحداث:

لا يعني أن الخطاب العام غير رسميّ، ومستقل أنه يخلو من وجود هدف. فهذا الخطاب على تنوعه، وعفويته، واستقلاله عن أي ضوابط رسمية هو أيضاً ذو هدف أو أهداف يسعى لتحقيقها أو الدفاع عنها مقابل أهداف الخطابات الأخرى ورؤاها. فهو خطاب مواكب للأحداث منفعل بها، وهو في دراستنا هذه خطاب سياسيّ بالدرجة الأولى كما لا ينفصل عن السياق الاجتماعيّ، والسياسيّ القائم.

– الخطاب العام يخلط السياسة بالدين:

يكشف الخطاب العام حول أحداث الثورة عن حضور قوى للدين، وتوظيفه في المجال السياسيّ، ولا يخلو كثير من الخطابات المطروحة من هذا التداخل بين الدينيّ والسياسيّ، بل إن بعض الخطابات تتخذ الدين حصناً لها للدفاع عن مقولاتها.

٢– سياق الخطاب العام حول أحداث الثورة، وظروف إنتاجه:

إذا ما أراد الباحث أن يكشف عن أنماط الخطاب العام أو أنواعه تجاه أحداث الثورة فلابد أن يرصد تلك الأحداث، ويحددها، فالخطاب لا ينعزل عن سياق إنتاجه كما أنه يؤثر في هذا السياق، ويتفاعل معه؛ ولذلك نشير هنا إلى ما يسمى بالسياق العام؛ لإنتاج الخطاب، والسياق الخاص المتمثل في عدة من الوقائع والأحداث التى وقعت خلال فترة الدراسة.

– السياق العام للخطاب:

إن السياق العام للخطاب هو سياق الثورة أو السياق العام للأحداث الذي يمثل الظروف التي تم في إطارها إنتاج الخطاب وهي في مجملها تمثل حالة من عدم اليقين، والارتباك في المشهد السياسيّ، والاجتماعيّ. ولتوضيح ذلك نشير إلى الآتي:

- اجتماعياً: وفقاً للمنظور السوسيولوجيّ أنه في أعقاب الثورات التي تُعد عمليات تغيير اجتماعيّ شامل – أو تستهدف إحداث مثل هذا التغيير – يكون ثمة نظام قديم يختفي، ونظام اجتماعي آخر آخذ في التشكُل. وبين نظام قديم (كان سائداً قبل ثورة ٢٥ يناير) ملئ بصور الظلم، والقهر، والتفاوت الاجتماعيّ، وغياب العدالة الاجتماعية، وغير ذلك

من مشكلات اجتماعية، وبين نظام جديد لمّا تتشكل معالمه بعد، فمن البدهي أن نجد حالة من الارتباك، وعدم التحدد في مختلف جوانب الحياة.

- اقتصادياً: أدت الثورة إلى ظهور كثير من المطالب الاقتصادية، والاجتماعية (أو ما أطلق عليه المطالب الفئوية) من جانب فئات، وشرائح اجتماعية واسعة عانت من الأوضاع الاقتصادية السيئة (بطالة، ضآلة مرتبات،... إلخ) هذه الفئات شعرت بأنه آن الأوان؛ لتحصل على بعض حقوقها وأن تحظى بالحياة الكريمة.

- سياسياً: نجد أننا بصدد ثورة لم تكتمل إذ لم يكن يقودها زعماء، أو قادة سياسيون في ظل وجود نخب سياسية لم تؤد دورها، أو لم يُتح لها أن تؤدي دورها في ظل نظام سياسي سابق يعد نظاماً قمعياً كابت للحريات، ونموذجاً للدولة البوليسية التي تخضع لهيمنة الحزب الواحد مع وجود أحزاب سياسية ضعيفة وغير فاعلة غالباً في الشارع السياسيّ مع ضعف المشاركة السياسية للجماهير، وضعف الاهتمام بالشأن العام قبل الثورة.

- ثقافياً: تؤدي الثورات إلى دفع الكثير من المفكرين، والمثقفين إلى إعادة التفكير في كثير من المقولات، والأفكار، والأوضاع الثابتة، أو الأشياء التي كانت راسخة في النظام القديم أو تعد من المحرمات التي لا يتطرق إليها أحد، ومنها دور جهاز الشرطة المفترض، ووضع الجيش في النظام السياسيّ، ونزاهة العملية الانتخابية، وكيفية تداول السلطة، وإلى آخر ذلك من قضايا يطرحها الواقع الجديد.

السياق الخاص للخطاب:

وهو يتمثل في مجموعة الأحدث المحددة التي تجري على أرض الواقع بداية من ١٨ نوفمبر إذ شهدت مصر مظاهرة مليونية أطلق عليها مليونية المطلب الواحد التي كان من مطالبها تحديد جدول زمنيّ؛ لتسليم السلطة للمدنيين، ورفض وثيقة السلميّ ورحيل حكومة عصام شرف مروراً بأحداث محمد محمود، وتكليف دكتور كمال الجنزوريّ بتشكيل حكومة للإنقاذ الوطني، وانتهاءً بانتخابات مجلس الشعب (المرحلة الأولى) وإعلان نتائجها ٣٠ نوفمبر ٢٠١١. ومن أجل تحديد هذا السياق الخاص، والذي يتمثل في هذا الوقائع المحددة نشير إليها بمزيد من التفصيل كما يلي:

- **١٨ نوفمبر ٢٠١١: مليونية (أو جمعة) المطلب الواحد.**
- **١٩ نوفمبر ٢٠١١: بداية أحداث محمد محمود، والتي استمرت حتى الجمعة ٢٥ نوفمبر**
- **٢٢ نوفمبر ٢٠١١: استقالة حكومة عصام شرف، والمجلس العسكريّ يؤكد التزامه بإجراء الانتخابات البرلمانية في موعدها.**
- **٢٤ نوفمبر ٢٠١١: تكليف الدكتور كمال الجنزوريّ بتشكيل حكومة إنقاذ وطنيّ.**
- **٢٥ نوفمبر ٢٠١١: مليونية الفرصة الأخيرة، وحق الشهداء ومنع د. الجنزوري من دخول مبنى رئاسة مجلس الوزراء.**
- **٢٨ نوفمبر ٢٠١١: إجراء انتخابات مجلس الشعب المرحلة الأولى.**
- **٣٠ نوفمبر ٢٠١١: إعلان نتائج المرحلة الأولى من الانتخابات التشريعية.**

– أحداث محمد محمود:

تُعد هذه الوقائع هي الحدث الرئيس الذي يدور حوله الخطاب ففي ١٩ نوفمبر وقعت اشتباكات، ومظاهرات في ميدان التحرير، ومحيطه وشارع محمد محمود في قلب القاهرة، وأدت الأحداث إلى مصرع ٤١ متظاهراً بالإضافة إلى آلاف المصابين؛ نتيجة الخرطوش، والغاز المسيل للدموع. ففي أعقاب جمعة المطلب الواحد التي دعا إليها حازم أبو إسماعيل، وبعض الحركات السياسية، والمطالبة بنقل السلطة إلى حكومة مدنية منتخبة، وبعد إصدار الدكتور علي السلمي لوثيقة المبادئ الأساسية للدستور التي أثارت غضباً عارماً لاحتوائها على بنود تعطي القوات المسلحة وضعاً مميزاً بالإضافة لاحتوائها على مواصفات اختيار الجمعية التأسيسية التي من المفترض أن يختارها مجلس الشعب الذي سيتم انتخابه، وبعد مشاركة معظم القوى، والأحزاب السياسية بتظاهرة ١٨ نوفمبر، والدعوة للانصراف في نهاية اليوم حتى لا يتم تعطيل انتخابات مجلس الشعب في الأسبوع المقبل أصرت بعض أسر شهداء الثورة على الاعتصام في ميدان التحرير. وقبل منتصف اليوم بقليل قامت قوات الشرطة بفض اعتصام حوالي ألفي شخص في وسط ميدان التحرير بالقوة المفرطة، مما أدى

لنـزول المتظـاهرين للميـدان بأعـداد كبيـرة، واسـتمرت عمليـات الكـر والفـر بـين الشـرطة والمتظاهرين طَوَال اليوم.

وفي اليوم التالي ٢٠ نوفمبر استمر توافد الآلاف على ميدان التحرير مع استمرار المواجهات بين المتظاهرين، وقوات الشرطة. ومع حلول المغرب قامت قوات الشرطة مشتركة مع الشرطة العسكرية، والأمن المركزيّ باقتحام ميدان التحرير، وإخلاؤه من المتظاهرين، وإشعال النيران في خيام المعتصمين ثم تركت الميدان لاحقاً بعد أن أصيب ما يزيد عن ١٧٠٠ بالإضافة إلى مقتل عشرة أشخاص من المتظاهرين، وقد أظهرت لقطات الفيديو بعض الجنود، وهم يسحبون جثة أحد المتظاهرين، ويلقونها جوار الطريق قرب تجمع للقمامة، وهي الصورة التي لاقت استنكاراً واسعاً بين أوساط القوى السياسية في مصر. وقد أصدر مجلس الوزراء بياناً مساء اليوم أكد فيه على حق المواطنين في التظاهر السلميّ، والتعبير عن الرأي، ورفض فيه محاولة استغلال التظاهرات لزعزعة الأمن، والاستقرار، وإثارة الفرقة كما أكد التزامه الكامل بإجراء الانتخابات في موعدها ٢٨ نوفمبر وأن التوتر المفتعل يهدف إلى تأجيل الانتخابات، أو إلغائها. كما شدد على دعم الحكومة لوزارة الداخلية، ومساندتها في مواجهة أعمال العنف، ووجه الشكر لضباط الشرطة وجنودها على تحليهم بأقصى درجات ضبط النفس.

ولقد توالت الأحداث في يوم الاثنين ٢١ نوفمبر، والثلاثاء من استمرار للاشتباكات، واستخدام الشرطة لقنابل الغاز المسيل للدموع، والخرطوش وأفاد الأطباء أن الغاز المستخدم يختلف عن ذلك الغاز الذي استخدم في بداية الثورة حيث إنه قوي التأثير كما كان هناك إصابات كثيرة بالخرطوش لاسيما في العيون وهناك بعض الإصابات بالرصاص الحيّ. وقد أصدر المجلس الأعلى للقوات المسلحة بياناً في مساء ٢١ نوفمبر دعا فيه القوى الوطنية للخروج من الأزمة الحالية، وأبدى أسفه لسقوط ضحايا، ومصابين بين المتظاهرين، ودعا فيه المواطنين إلى الحذر، والتزام الهدوء حتى تتم عملية التحول الديمقراطيّ بسلام، وأمر المجلس وزارة العدل بتشكيل لجنة تقصي حقائق؛ للوقوف على أسباب اشتعال أحداث العنف وملابساتها.

وفي يوم الثلاثاء ٢٢ نوفمبر توافد آلاف المتظاهرين على ميدان التحرير، وميادين أخرى في أنحاء مصر؛ استجابة لدعوة الكثير من الحركات، والأحزاب السياسية لما سموه مليونية الإنقاذ الوطنيّ، واجتمعت عدد من القوى، والأحزاب السياسية مع الفريق سامي عنان نائب رئيس المجلس الأعلى للقوات المسلحة، لمحاولة الخروج من الأزمة، وأسفر الاجتماع عن قبول استقالة حكومة الدكتور عصام شرف، وتشكيل حكومة إنقاذ وطنيّ، وتعجيل الجدول الزمنيّ لانتقال السلطة، وظهر المشير حسين طنطاويّ رئيس المجلس الأعلى للقوات المسلحة في خطاب تلفزيونيّ مساء اليوم تعليقاً على الأحداث، وأكد أن القوات المسلحة ليست بديلاً عن الشرعية التي يرتضيها الشعب، وأعلن مجموعة قرارات منها قبول استقالة حكومة عصام شرف، والالتزام بالجدول المعلن لانتخابات البرلمان، وأن تجرى الانتخابات الرئاسية في موعد أقصاه نهاية يونيو ٢٠١٢م، وأن القوات المسلحة لا ترغب في الحكم، وأصدر المجلس رسالة رقم ٨٢ على موقع فيس بوك تضمنت نقل التحقيق في أحداث محمد محمود من النيابة العسكرية إلى النيابة العامة. وفي ٢٣ نوفمبر حدثت اشتباكات متقطعة بين المتظاهرين والشرطة في محيط شارع محمد محمود، وشارع الفلكيّ ثم ساد الهدوء في يوم ٢٤ نوفمبر للمرة الأولى منذ بداية الأحداث بعد أن وصلت أعداد المصابين إلى أكثر من ٣٨٠٠ مصاب، واستقبل المشير حسين طنطاويّ الدكتور كمال الجنزوريّ، وترددت أنباء عن اختياره؛ لتشكيل حكومة إنقاذ وطني الأمر الذي رفضته القوى الثورية، والشبابية إذ أنه رئيس سابق للوزراء في عهد الرئيس السابق حسني مبارك. وفي الجمعة ٢٥ نوفمبر توافد الآلاف على ميدان التحرير وميادين مصر كافة في استجابة للدعوة إلى جمعة الفرصة الأخيرة، والتي كان من مطالبها تخلي المجلس الأعلى للقوات المسلحة الفوريّ عن السلطة، وشاركت معظم الأحزاب، والقوى السياسية في هذه المليونية باستثناء جماعة الإخوان المسلمين، وذراعها السياسيّ حزب الحرية والعدالة. وفي الوقت نفسه كانت هناك مظاهرة أخرى لبضع آلاف من المتظاهرين من المؤيدين للمجلس الأعلى للقوات المسلحة في ميدان العباسية شارك فيها عدد من المواطنين، وحركة أصوات الأغلبية الصامتة، كما دعا إليها توفيق عكاشة رئيس قناة الفراعين، ورفعت المظاهرة شعارات تنادي ببقاء

المجلس الأعلى في السلطة حتى تمام نقل السلطة، وإجراء الانتخابات الرئاسية في منتصف ٢٠١٢م.

٣- أنماط الخطاب المطروح:

يقدم الباحث هنا بعض معالم خريطة الخطاب العام كما تم التعبير عنه من خلال الرسائل النصية لمشاهدي قناة الجزيرة مباشر. وفي الواقع لا تعكس هذه الرسائل خطاباً واحداً بل خطابات عديدة يعبر كل منها عن قطاع معين من متابعي القناة، وهي من ناحية تشكل رجع الصدى لما تبثه القناة من برامج، وأخبار، وأحداث حية، ومباشرة وهي من ناحية ثانية تعبرعن صوت المواطنين أنفسهم وآرائهم عما يدور حولهم من أحداث. ويمكن التمييز هنا بين عدد من الخطابات وفقاً لمعيارين أولهما- الفئة التي يعبر عنها الخطاب، وثانيهما- السمة الغالبة على الخطاب وذلك على النحو الآتى:

أ- الخطاب الثوريّ:

وهو الخطاب الذي يعبر عن روح الثورة، ومطالبها، ومبادئها ولذلك يرى الباحث أن هذا الخطاب يعبر عن أهم القوى الفاعلة فى الأحداث ونقصد هنا الشباب ممن شاركوا في ثورة يناير ٢٠١١م (أو غيرهم من المواطنين أيّاً كانت أعمارهم) وممن يسعون إلى تحقيق أهدافها التي خرجوا من أجلها وهو خطاب يرى أصحابه أنهم أصحاب الثورة الحقيقيون (أو على الأقل يؤيدون، ويتعاطفون مع من شارك في الثورة منذ ٢٥ يناير) فهم الشعب، وهم الأحرار، وهم الشرعية بل هم من له حق الكلام. وبالإمكان أن نستشف من بعض الرسائل النصية كيف يُقدَّم هذا الخطاب، أو كيف يصور الثوار أنفسهم. فمثلاً كتب أحدهم (يا مصري دميّ عشانك في ميدانك) وكتب آخر (أصحاب الثورة الحقيقيون في الميدان الآن) وكثير من العبارات منها: هذه الثورة لتحقيق أهداف الثورة، إحنا الشعب الخط الأحمر، ثوار أحرار حنكمل المشوار.

إن أصحاب الخطاب الثوريّ يقدمون أنفسهم بوصفهم المدافعين عن أهداف الثورة المضحين بدمائهم الساعين لاستكمالها (الثورة المستمرة، ولا تراجع عن التصعيد الثوريّ حتى تحقيق أهداف الثورة) أصحاب الشرعية القائمين في ميادينها (الشرعية في التحرير)

وهكذا... وفي الوقت نفسه نجد تعاطفاً وتأييداً، أو دعماً لهؤلاء الثوار وما يقومون به ويمكن أن نلمس كيف ينظر المتعاطفون لأصحاب الخطاب الثوريّ هذا من خلال بعض الرسائل مثل: (الأشجع، والأنبل، والأعظم في ميدان التحرير – أشرف، وأطهر ناس في التحرير – الله أكبر شباب الثورة – المصريون يستردون ثورتهم اليوم) ولا يقتصر هذا التأييد على وصفهم بالشرف، والشجاعة، أو النُبل بل ثمة كثير من الدعاء لهم، ولشهدائهم (ولاد مصر هم شباب التحرير – الله ينصر شباب التحرير – الله معكم يا شباب التحرير – ربنا معكم يا شباب مصر، والنصر بإذن الله).

ب– الخطاب المناهض للثورة:

نعني هنا ما يمكن تسميته خطاب الثورة المضادة وهو نقيض الخطاب السابق (خطاب الثورة، أو الخطاب الثوريّ) ويرى الباحث أن هذا الخطاب هو المعبر عن قطاع من المواطنين الرافضين أساساً لثورة ٢٥ يناير– ربما لتعارضها مع مصالحهم، أو لكونهم منتفعين من النظام السابق أو لتدني مستوى الوعي العام لديهم– وهؤلاء حين يعبرون برسائلهم يصفون الثوار بالخونة، والمخربين وهم سبب الفوضى، والفتنة ولذلك نجد عبارات مثل: (يا رب أحمي مصر من كل خائن ومرتزق – خربتوا مصر يا بتوع التحرير – ميدان التحرير اليوم ليس هو الميدان يوم الثورة – شباب مصر الأغلب رافضين هذه الأفعال – التحرير لا يمثل مصر كلها – إلى التحرير أنا مصرية حرة لا يتحدث أحد باسمي – مين عامل توكيل لبتوع التحرير ليتكلموا باسم الشعب).

ولا يكتفي أصحاب هذا الخطاب بتشويه شباب الثورة ووصمهم بكل نقيصة بل يرونهم السبب في وقف الحال، والخراب (ويعبر عن ذلك عبارات مثل: حرام عليكم مش عارفين ناكل عيش – روحوا من التحرير خربتوا بيوتنا منكم لله – مصر بتخسر) بل ويدعون للتخلص منهم (أحرق أحرق يا مشير – الحل نسف ميدان التحرير).

ج– الخطاب المحافظ:

وهو خطاب يعبر عن قطاع من المواطنين يرغب في الاستقرار، ويرى في عمليات التغيير تهديداً لهذا الاستقرار، وهدماً له ولذلك يمكن تسميته أيضاً بخطاب الاستقرار.

فالثورة بتداعياتها وأحداثها التي تسعى لتغيير كل ما هو مألوف، وكل ما هو مُعتاد بوصفها عملية تغيير جذريّ للنظام السياسيّ والاقتصاديّ بل والاجتماعيّ والثقافيّ بالمعنى الواسع. تصبح هنا تهديداً لهذا الاستقرار، والتوازن الذي يرغبه أصحاب هذا الخطاب، ومن ثم فأصحاب الخطاب المحافظ لا يؤيدون ما يحدث بل أن هدفهم هو أن تستقر الأمور وأن تعود مظاهر الحياة إلى ما اعتادوا العيش في إطاره.

ويحمل هذا الخطاب في داخله دعوات بتهدئة الأمور، والعودة إلى لغة العقل، وقد يتخذ دور الناصح فيوجه رسائل، أو نصائح عقلانية، وحيادية من وجهة نظره بضرورة الحذر مما يحدث، أو كيف نعود للهدوء. ومن أمثلة العبارات التي تدل على هذا الخطاب مثلاً (لا أؤيد المشير ولا ميدان التحرير – يا شباب مصر الهدوء – شهر ليست بالكثير – نرجو إعطاء فرصة للمشير لإصلاح البلد – اللهم أضرب الظالمين بالظالمين وأخرجنا من بينهم سالمين – الانتخابات هي السبيل للخلاص – تغيير القوانين وتنفيذها هو الحل – حاكموا الحرامية، والشعب يهدأ – مصر جبل ما يهزك ريح –كفاية فوضى – نعم لاستقرار مصر – مصر تنهاااار).

د– الخطاب غير المحدد (المرتبك):

أن هذا الخطاب يكاد يظهر، أو يعبر عن نفسه في الرسائل النصية إذ لاحظ البحث قلة العبارات التي تعكس مثل: هذا الخطاب وربما يصدق أن نشبه أصحاب هذا الخطاب بمن يطلق عليهم الأغلبية الصامتة. ولذلك فهذا الخطاب يعبر عن قطاع من المواطنين لم يستطع أن يحسم موقفه مما يحدث فلا هو بخطاب ثوريّ ينادي بتحقيق مطالب الثورة، وأهدافها، ولا هو خطاب رافض لما يحدث مناهضاً له، ولقد أطلق الباحث على هذا الخطاب مسمى الخطاب المرتبك انطلاقاً من السمة المسيطرة على الخطاب فأصحاب الخطاب المرتبك لا يستطيعون تحديد موقفهم وقد يتخذون موقف الحياد السلبي فهم ليسوا مع، أو ضد أي من وجهات النظر المطروحة في الخطابات الأخرى، وقد لاحظ الباحث أنه داخل هذا الخطاب المرتبك يوجد تمايزات في المواقف فبعضهم يطرح تساؤلات لا يجد لها حلاً تعبر عما يشعر به من ارتباك (ومن أمثلة ذلك آخرتها أيه يا مصر – مين السبب في اللي بيحصل ده – الناس دي عايزه إيه تاني – لحساب مين اللي بيحصل ده) وبعضهم الآخر

يتخذ موقف الحياد السلبيّ كما قلنا (لا أؤيد المشير ولا ميدان التحرير – اللهم انصر الحق إذا كان مع المشير أو مع شباب التحرير) بل ويتمنى أن تمر الأمور على خير (يا رب تعدي على خير – استرها يا رب) وفئة ثالثة يعبر أصحابها عن مواقف مرتبكة أيضاً يسودها الخوف من المستقبل مثلاً أو اليأس مما يحدث أو التباكي عليه، ومثال ذلك (التعبير عن اليأس والتباكي بعبارة مفيش فايدة – لا طعم للحياة وفيك ما يحدث يا أم الدنيا – إن قلبي ينزف دماً على مصر) وأخيراً من أمثلة العبارات التي تدل على خوف أصحابها (أخشى أن يكون جمعة الغد كجمعة ٢٨ يناير – أحنا كده، والشرطة مش مسيطرة أمال من غير جيش حنعمل أيه).

هـ _ الخطاب العربيّ (المتعاطف):

وهذا النمط من الخطاب رصده الباحث من خلال كثير من الرسائل، والعبارات التي يذكر أصحابها جنسياتهم، ويعبرون عن مواقف تدل في معظمها على تعاطفهم، وحبهم لمصر. وبصفه عامة فإن هذا الخطاب في معظمه، وكما تشير العبارات، أو الرسائل المعبرة عنه لا ينحاز لأي من الأطراف، وهو يحمل قدراً كبيراً من الحب، والتقدير لمصر شعباً ووطناً ولذلك أطلق عليه الباحث اسما هو (الخطاب العربي المتعاطف) فهو من ناحية يدعو لمصر وشعبها (مثل: اللهم احفظ مصر (الخرطوم) – اللهم احفظ مصر، وشعبها الثائر (أبو ظبي) – يا رب احفظ مصر العروبة (العراق) – ربنا معكم يا شعب مصر (غزة)) كما يعبر عن حبه وتقديره لمصر بل وخوفه عليها، وتحذير أهلها من المخاطر (ومثال ذلك: مصر حاضنة الثورات بنت حمص – انتبهوا يا أهل مصر من الفتن بنت السعودية – الله يحميك يا مصر يا أم الدنيا كلها – عاشت مصر أرض الكنانة).

٤– مقولات الخطاب العام حول أحداث الثورة:

شكلت أحداث محمد محمود الحدث الأبرز الذي دار حوله الخطاب العام الذي جاء متفاعلاً مع الأحداث مواكباً لها، وراصداً لتفاعلاتها لحظة بلحظة، ونستطيع أن نصنف أبرز المقولات تجاه هذه الأحداث في ثلاثة اتجاهات: مقولات تختص بالمشير محمد حسين طنطاويّ، ومقولات تختص بالمجلس العسكريّ، ومقولات تختص بالقوات المسلحة عامة.

أ_ الخطاب الثوريّ، ومقولاته حول الأحداث:

عبر الخطاب الثوري عن رفضه للمشير طنطاويّ، وكذلك المجلس العسكريّ، وجاءت مقولات مطالبة برحيل حكم العسكر. وهو بصفة عامة خطاب مناهض رافض لما يحدث من اعتداءات على المتظاهرين ملقياً المسئولية على المشير، ومجلسه العسكريّ (ومن أمثلة الرسائل الدالة على ذلك "بيموتونا بفلوسنا حسبنا الله ونعم الوكيل – مفيش فايده بيقتلونا ويعتذروا – العسكريين من أوصل مصر لهذا الوضع) ومن أبرز مقولات ذلك الخطاب ما يلي:

– المشير، ومبارك وجهان لعملة واحدة:

ينظر أصحاب الخطاب الثوريّ إلى المشير طنطاويّ بوصفه امتداداً لنظام مبارك يتبع الأساليب نفسها التي اتبعها المخلوع من تمسك بالسلطة، والتهديد بالفوضى حال غيابه عن المشهد. ولذلك نجد عبارات مثل: (طنطاوي يساوي مبارك – المشير الصورة الأصلية لمبارك – لا مبارك ولا مشير هدفنا التغيير – يا مشير انت امتداد مبارك، وأعوانه – مبارك، والمشير وجهان لعملة واحدة – لماذا يتمسك المشير بالسلطة أكثر من مبارك – ربنا ينتقم من مبارك وكل أعوانه) ولا يخلو الخطاب من عبارات تدل على الدهشة، أو الصدمة بل والسخرية مما يحدث (ومثال ذلك من حسني لحسين يا قلبي لا تحزن – يا مشير اتصدمنا فيك – في انتظار خطاب التنحي).

– المشير هو السبب فيما يحدث:

يلقي خطاب الثورة على المشير طنطاوي مسئولية ما يحدث (خليكوا شاهدين خربها المشير – المشير باع الثورة – شاهد الزور بيقتل ثوار مصر – يا مشير قول الحق أنت فلول ولا لأ) ولذلك ينظر ذلك الخطاب إلى تصريحات المشير، وأقواله خلال أحداث محمد محمود بأنها لا تختلف عن مبارك، وتحمل تهديداً للمواطنين بالفوضى وتنكر استخدام القوة مع الثوار، ولذلك نجد عبارات مثل: (إما أن تقضي على الفوضى التي نمت بفضلكم، أو ترحل– يستبدل نفسه بالفوضى نفس النغمة القديمة – تهديد نفس كلام مبارك – بطلوا الأسلوب ده الشعب فاق خلاص فين مطالب الثورة – يا مشير مصر أمانة لا تخونها مثل مبارك – إذا كنت تنكر استخدام القوة يا مشير فهل لا تراها).

– المطالبة برحيل المشير عن السلطة:

بعد اتهام المشير بأنه السبب فيما يحدث، أو على الأقل على دراية بما يحدث دون اتخاذ ما يلزم لحماية الثوار (حامي البلطجية يحمينا منهم إزاي) نجد المطالبة باتخاذ إجراء، والانحياز للشرعية الثورية (اسحب جيشك يا مشير الشرعية في التحرير) وأيضاً المطالبة برحيله؛ لأنه السبب فيما يحدث (ارحل يا مشير خربت البلد – يا مشير بلغ مبارك مصر مش حتضيع – ارحل ارحل يا مشير الشعب عايز تغيير – يا مشير ارحل أنت، والبلطجية – ارحل يا مشير تاريخ مصر لن يقف عند أحد – الشعب يريد إسقاط المشير).

وفيما يتعلق بالمقولات المختصة بكل من المجلس العسكريّ، والجيش عامة نجد أيضاً رفضاً للمجلس، وتحميله المسئولية، ومن أبرز المقولات ما يلي:

– المطالبة برحيل المجلس العسكريّ:

حرص الخطاب الثوري على إرجاع فشل الثورة إلى المجلس العسكريّ فمثلاً نجد عبارات مثل: (ثورة عظيمة ضيعها المجلس العسكريّ – لا لحكم العسكر في البلاد – لابد من رحيل مجلس الفلول – المجلس خربها وقعد على تلها – عايزين مجلس مدنيّ مش عسكريّ الجيش ده جيش حسني – متى يفيق المجلس العسكري من سكرة الحكم).

ويلاحظ أن العبارات المختصة بالجيش المصريّ خاصة تأتي بكثافة أقل ولكن هناك اتفاق على ضرورة رحيل العسكر، ورجوع الجيش إلى ثكناته، ودوره الرئيس (احنا الشعب الخط الأحمر يسقط يسقط حكم العسكر – ارجع مكانك يا جيش الشعب مش حيروح في حتة ومعاك للآخر يا جيش).

– الثورة مستمرة حتى تحقيق أهدافها:

وهذه هي المقولة الأبرز في الخطاب الثوري، إذ نتيجة تصاعد الأحداث، والاعتداء على المتظاهرين، وقتلهم؛ حرص أصحاب هذا الخطاب على التأكيد على ضرورة استمرار الثورة؛ للتخلص من حكم العسكر، ورحيل المجلس العسكريّ؛ ولذلك نجد عبارات مثل: (لا تراجع عن التصعيد الثوريّ حتى تحقيق أهداف الثورة – شدي حيلك يا بلد الحرية بتتولد – يا شباب التحرير لا تتراجعوا عدى كتير، وبقى المشير – الثورة مستمرة حتى تحقيق

أهدافها – ثوار أحرار حنكمل المشوار –كما يعبر هذا الخطاب عن ثقته وتفاؤله بانتصار الثورة من خلال عبارات مثل: (إن شاء الله مصر ستعبر – الشعب فوق الجميع).

ب_ الخطاب المناهض للثورة، ومقولاته حول الأحداث:

لم يلاحظ الباحث من خلال الرسائل النصية اهتماماً من جانب مناهضي الثورة بالتعليق على الأحداث، ووقائع قتل المتظاهرين، أو إصابتهم خلال أحداث محمد محمود ولكن –بصفة عامة– يمكن استخلاص مجموعة من المقولات تعبر عن كيفية رؤية هذا الخطاب للأحداث:

– المتظاهرون في التحرير لا يمثلون مصر كلها:

يرى أصحاب الخطاب المناهض للثورة أن المتظاهرين فى ميدان التحرير لا يعبرون عن جميع المصريين، ولا يحق لهم التحدث باسم المصريين، ومن العبارات التى تدل على ذلك (مليون شخص في الشارع لا يعبرن عن الشعب).

– المتظاهرون في التحرير خونة، ويتسببون في خراب مصر:

ومن العبارات الدالة على مثل تلك المقولات (اللهم أهلك كل خائن عميل – ربنا ينصر الجيش على الخونة – خربتوا مصر منكم لله).

ج_ الخطاب المحافظ، ومقولاته حول الأحداث:

تتركز مقولات هذا الخطاب تجاه ما يحدث حول تأييد المشير طنطاويّ، والمجلس العسكريّ، والجيش عامة، ويلاحظ الباحث أن مقولات هذا الخطاب تتشابه مع مقولات المجلس العسكرى نفسه وتتماشى معه ونشير إلى أهم هذه المقولات كما يلي:

– الثقة المطلقة في المشير، والمجلس العسكريّ، والجيش:

ويلاحظ أن العبارات المؤيدة للمشير دائماً تأتي بصيغة الجمع فى محاولة للتأكيد على فكرة أن المصريين جميعهم يدعمونه هو، والمجلس، والجيش (الشعب مع المشير – قلوبنا معك يا مشير – أحنا مع المشير تحيا مصر – نحن نؤيد المجلس العسكريّ – المنوفية أرض العظماء مع المجلس العسكري – الصعايدة كلهم مع المشير كلنا مع جيشنا العظيم – ربنا معاكوا يا خيرة أجناد الأرض –كل التحية والتقدير للمجلس العسكري).

– التحذير من إهانة المشير، والمجلس أو الاعتداء على الجيش:

ويدل على ذلك عبارات مثل: (من يهاجم الجيش المصري لا يمكن أن يكون مصري – كله إلا المشير – من يهاجم الجيش والشرطة يستحق ما يحدث له – الجيش خط أحمر – كفاية إهانة يا ثوار للجيش – القوات المسلحة عود لن ينكسر – المشير هو الرمز).

– الدعاء للجيش بوصفهم خير أجناد الأرض:

ويعبر عن هذه المقولة عبارات مثل (جيش مصر خير أجناد الأرض – اللهم أحمي مصر وجيشها – الله يكون في عون الجيش المصري – اللهم انصر مصر وجيش مصر).

– المجلس، والجيش هما صماما أمان الوطن:

ومن العبارات الدالة على تلك المقولة (نعم للمجلس العسكري حماة الوطن – الجيش هو الدرع الواقي لهذا الوطن – القوات المسلحة هي العمود الفقري للوطن – الجيش هو صمام أمان).

د_ الخطاب غير المحدد (المرتبك)، ومقولاته حول الأحداث:

انطلاقاً من أن أصحاب هذا الخطاب مترددون في اتخاذ موقف مما يحدث، وتعبر رسائلهم عن مشاعر مثل: الحيرة، والخوف، أو عدم وضوح أبعاد ما يحدث لديهم تأتي مقولاتهم مصطبغة بهذا الخوف، والارتباك ومن هذه المقولات:

– رفض رحيل المجلس العسكريّ:

إن الجيش، ومجلسه هما مصدر أمان لدى أنصار هذا الخطاب، ولذلك نجدهم يرفضون تخلى المجلس عن السلطة، ويطرحون تساؤلات لا يجدون عنها إجابات، ومن ذلك (إيه المطلوب من الجيش يا بلد الأمان – ولما الجيش يمشي من يحمينا من البلطجية – لصالح من الجيش يترك الحكم أرجو الإجابة – عايزين إيه تاني شكراً يا مشير).

– إسقاط المشير، والمجلس يعني إسقاط لمصر:

يعظم أصحاب الخطاب المرتبك من دور الجيش بل، ويحذرون من أن سقوطه يعنى سقوطا لمصر فمصر من وجهة نظرهم هى الجيش، والجيش هو مصر ويعبر عن ذلك عبارات

مثل: (من غير جيش مصر تضيع – سقوط الجيش سقوط لمصر – مصر كلها عايزة المجلس – إذا سقط المجلس العسكريّ صرنا إلى فراغ).

هـ_ الخطاب العربيّ (المتعاطف)، ومقولاته حول الأحداث:

انحصرت مقولات الخطاب العربيّ في الدعاء لمصر، ودعوة المصريين؛ للحفاظ عليها، ومن ذلك ما يلي:

– الدعاء لمصر بأن يحفظها الله، وتتجاوز المحنة:

ويعبر عن ذلك بالعبارات (مثل: مصر عظيمة بجيشها وشعبها وستعبر المحنة – حفظك الله يا مصر يا أم الدنيا).

– دعوة المصريين إلى الحفاظ على جيشهم، ووطنهم:

(حافظوا على جيش مصر أيها المصريين– يا شعب مصر اتركوا الإدارة للجيش لكي تعبر مصر لبر الأمان – الجيش المصري أشرف جيش بقيادة المشير حافظوا عليه – الجيش فخر لكل العرب فحافظوا عليه – حافظوا على مصر يا مصريين – مصر فوق الجميع).

* مقولات الخطاب العام حول تكليف د. الجنزوريّ بتشكيل حكومة إنقاذ وطنيّ:

ما يمكن ملاحظته هنا أن جميع الخطابات (الثورية، والمناهضة، والمحافظة ...إلخ. لم تأتِ على أي ذكر، ولم ترسل أية رسائل تعبر عن رأيها فى استقالة حكومة د.عصام شرف لا تعليقاً ولا تأييداً أو رفضاً وربما يمكن تفسير ذلك بحالة الغضب العارمة تجاه أداء هذه الحكومة، وعجزها عن تحقيق مطالب الثورة، أو حماية المتظاهرين ومن ثم هناك غياب واضح للخطاب العام حول استقالة حكومة عصام شرف ولذلك جاءت جميع الرسائل النصية معبرة عن رأيها تجاه الدكتور كمال الجنزوريّ وحكومته التي أطلق عليها اسم حكومة الإنقاذ الوطني متجاهلة إبداء الرأي، أو التعليق على حكومة الدكتور عصام شرف الراحلة.

الملاحظة الثانية هو عدم وجود تمايز واضح بين أنواع الخطابات تجاه الحكومة التى ستشكل. إذ لم يستطع الباحث (بسبب قلة عدد الرسائل حول هذا الموضوع) أن يستخلص مقولات عامة لكل خطاب تجاه ذلك الموضوع، وما يمكن قوله أن الخطاب الثوريّ عبر عن نفسه بعبارتين، أو ثلاثة تدل على رفض حكومة الجنزوريّ ومن ذلك (لا طنطاوي ولا جنزوري

نعم لشباب الثورة – المشير أعطى ما لا يملك لمن لا يستحق) ولذلك يعرض الباحث لبعض المقولات حول هذا الموضوع دون نسبتها لأي من الخطابات:

أ– الموافقة على تكليف د. الجنزوريّ بتشكيل الحكومة:

ومن العبارات الدالة على ذلك (نعم للجنزوري رئيساً للوزراء – نعم للجنزوري نعم للمشير – افتقدنا الجنزوري لفترة وربنا رجعه لنا – مبروك لشعب مصر والجنزوري).

ب– الدكتور الجنزوريّ هو الأنسب من غيره:

وهذه المقولة تظهر بوضوح في عبارات الجمهور الذي يرفض البرادعيّ ويرى أن الأنسب لهذه المرحلة هو الجنزوريّ. ومن العبارات التي تدل على ذلك (نعم للجنزورى لا للبرادعى – ٨٥ مليون نعم للجنزورى – يا شعب مصر مين غير الجنزورى ينقذ مصر – يا جماعة حرام الجنزورى كويس في المرحلة دى – مبارك لشعب مصر الجنزورى هو رجل الفقراء – الجنزوري هو رجل المرحلة – رجل هذا الوقت – الجنزوري هو أفضل رئيس وزراء الآن – تكليف الدكتور الجنزورى أول قرار صائب). بل هناك رسالة تتمنى أن يصبح رئيساً لمصر.

والملاحظة الثالثة أن هناك مقولة ظهرت على استحياء تطالب بتولي دكتور البرادعيّ أو أيمن نور رئاسة الوزراء فالبرادعي (هو أول من دعى للتغير وهو أمل مصر) على حد قول أحدهم، وأيمن نور(أفضل نائب عرفته مصر).

* مقولات الخطاب العام حول الانتخابات:

ما يمكن قوله هنا أن الخطاب العام حول المرحلة الأولى للانتخابات البرلمانية، وحتى إعلان النتائج لم يحمل هو الآخر تمايزات يمكن إدراكها بين أنواع الخطابات وموقف كل خطاب من هذا الاستحقاق الذي يضع مصر على طريق الديمقراطية، ولذلك سوف نشير إلى أهم المقولات التي ظهرت دون نسبتها إلى أي من الخطابات.

أ– الانتخابات هي أول خطوة للاستقرار والديمقراطية:

فعن طريقها ستظل مصر باقية ومن خلالها تضع مصر قدمها على طريق الديمقراطية، وتتخلص من الانقسام. ومن العبارات التي جاءت؛ للتدليل على ذلك (حمداً لله على

سلامتك يا مصر– يا رب ترجع مصر – نعم لاستقرار مصر– ويبقى الجميع وتبقى مصر فوق الجميع – مصر الأمن والأمان – هذه مصر أيها الحاقدين – مبروك سنة أولى ديمقراطية لمصر) كما ظهرت دعوة للمصالحة ونسيان ما فات (لكل أطياف الشعب المصري اللي فات مات).

ب– الفرح بما تحقق والتفاؤل:

جاءت العبارات هنا لتعكس جواً احتفالياً فرحاً بإتمام الانتخابات، ومن ذلك (مبروك لشعب مصر – الله أكبر ولله الحمد – مبروك للكتلة المصرية – الحرية والعدالة أمل الأمة – لا تؤخذ المطالب بالتمني – إن شاء الله مصر محروسة – اللهم أكمل فرحة مصر – الله عليك يا جيش مصر – الكتلة المصرية هم مستقبل مصر – بشراكم يا مصريين – ألف مبروك شعب مصر العظيم – تحية للجيش المصري مصر اليوم في عيد – شوف مصر بتنتصر إزاي).

ج– الإعجاب، والفخر بمصر، وشعبها:

هذه المقولة ظهرت بوضوح فالمصريون، وكذلك العرب من غير المصريين عبروا عن إعجابهم وفخرهم بما تحقق، ولم ينسوا من ضحى؛ من أجل الحرية أيضاً؛ لنقل مصر لهذه المرحلة، ومن العبارات الدالة هنا (يا شعب مصر شباب التحرير هم من أعطوكم الحرية بدمائهم، ما ضاع حق ورائه مطالب، والله وعملوها الرجالة ورفعوا راس مصر– مصر عظيمة بشعبها – مصر خارج التوقعات –ما أروع المصريين الشرفاء فعلاً ثبت حبكم للوطن – عظيمة يا مصر – الله يا مصر شعبك جميل – عظيمة يا مصر – علمي يا مصر شعوب العالم معنى الحرية – صفحات عز وفخر سطرها شعب مصر العظيم – هي دي مصر وهو ده شعب مصر – أيها التاريخ نحن المصريون – في مصر شباب أقوى من الصخر – شكراً ثوار يناير؛ لإنارة طريق الحرية – في جنات الخلد يا شهداء مصر).

د– الدعاء بالنصر لمصر، وأن يتولى المسئولية من يصلح لها:

إن الدعاء لمصر، وتمني الخير لأهلها مقولة واضحة في جميع القضايا، والأحداث ولذلك نجد مقولات مثل: (اللهم ولي من يصلح – حفظ الله مصر لشعبها العظيم – يا رب ارزق مصر بمن يتقي الله فيها).

٥- الخطاب العام حول أحداث الثورة (اتجاهاته، انحيازاته، تفسيراته):

عبر الخطاب العام في مقولاته عن معظم القوى المؤثرة في الأحداث كما انحاز بشكل، أو بآخر إلى أحد الأطراف مردداً مقولاته، ويورد الباحث هنا بعض ما استخلصه من الرسائل النصية حول ذلك:

- أول ما يميز الخطاب الثوريّ هو أنه خطاب رافض لممارسات العسكر، وقمعهم المتظاهرين في ميدان التحرير، وهو مع رفضه هذا يحرض جموع المواطنين على مساندة الثوار، والانضمام إليهم في الميادين، وهو خطاب واثق متفائل، واثق من نجاح الثورة، ومتفائل بمستقبل مصر، وتحريرها، ولذلك نجد تفسيراته للأحداث تأتي في سياق الحرص على استكمال الثورة، وتحقيق مطالبها، ولفت الانتباه إلى دور الجيش الذي قد يعوق ذلك بل ويضيعها، فالثورة لم تكتمل، ولذلك نجد عبارات مثل: (ثورة ضيعها العسكر – لم نقم بثورة وقتل من قتل لتحقيق شبه ديمقراطية- الرجل الحر ينزل ميدان التحرير).

- يأتي الخطاب المناهض للثورة بمقولات، وتفسيرات ترى في الثوار مخربين، ويصفهم بالخونة في إطار المؤامرة التي تحاك لمصر، وشعبها وهو لا ينحاز سوى لمصالحه التي أصبحت مهددة في ظل النظام الجديد الذي يتشكل فالثوار من وجهة نظره ليسوا شعب مصر ولا يعبرون عنه، ومن المقولات الدالة على ذلك (الشعب يريد تحرير التحرير – اللهم احفظ مصر من الأعداء والخونة – حرام عليكم اللي بتعملوه في مصر – احترموا بعض يا ناس دي مؤامرة – ربنا يحفظ مصر من أيد العابثين – اللهم أحرس مصر من كل خاين ومرتزق – اللهم أهلك كل مخرب مجرم).

- أما الخطاب المحافظ فهو يرى فيما يحدث جراً لمصر نحو الفوضى، وتهديداً لأوضاعها المستقرة ولذلك تأتي تفسيراته في إطار الحرص على استعادة الهدوء ولذلك نجد تعبيرات تتمنى السيطرة على ما يحدث مثل: (الشعب يريد رجل من حديد –كفاية تخريب ارحموا المجلس العسكري – من يعطل الانتخابات خائن لمصر – نعم للاستقرار، ولا للفتنة، ولا للفوضى –كفاية فوضى). ويتشابه الخطاب غير المحدد (المرتبك) مع الخطاب المحافظ في رؤيته لما يحدث، وما يمثله من فوضى، وعدم استقرار ولكن هذا الخطاب ربما يفتقد القدرة على التفسير فهو خطاب خائف على غير دراية بالأحداث بكامل أبعادها، وعدم

المعرفة يترافق مع الخوف مما يحدث وأحياناً العداء له (الناس أعداء ما جهلوا) وهناك مثلاً من رأى فيما يحدث تهديد لهيبة الدولة.

وأخيراً يأتي الخطاب العربي المتعاطف الذي ينحاز إلى الشعب المصري عامة، وتأتي تفسيراته في إطار حبه لمصر جيشاً وشعباً، وهو يعبر عما تحظى به مصر في قلوب أصحاب هذا الخطاب، وحرصه وخوفه على مستقبلها – (فمصر هي أرض الكنانة – وشعب مصر في رباط إلى يوم الدين).

و أخيرا لاحظ الباحث أن جميع الخطابات المطروحة التي تشكل في مجموعها الخطاب العام بتمايزاته (الثوري – والمناهض للثورة، والمحافظ، وغير المحدد، والعربيّ المتعاطف) تستعين بالدين، وتستخدم عبارات توضح أن ثمة تداخل شديد بين الدينيّ والسياسيّ إذ يتم استدعاء الدين، ومقولاته عند التعبير عن الرأي فيما يحدث. ويتخذ ذلك شكل النصائح أحياناً ومن أمثلة ذلك (لا تنازعوا فتفشلوا وتذهب ريحكم – ومن يتق الله يجعل له مخرجاً – يا أهل مصر أليس فيكم رجل رشيد – احذروا الفتنة يا شباب الثورة – بجد حرام اللي بيحصل ده – إن الحكم إلا لله) وغالباً ما يكون الدعاء لمصر (اللهم ارفع مقتك، وغضبك عنا، وقنا شر الفتن – اللهم احفظ مصر، وشعبها، والمصريين – اللهم أحمي مصر وفك كربها – ربنا يحمي مصر – اللهم صبرنا على مبتلانا – حفظك الله يا مصر – يا رب أصلح حال البلاد، والعباد) وقد يتخذ ذلك شكل دعاء على أحد الأطراف (ربنا على الظالم – ربنا يكفينا شركم – اللهم أهلك كل مخرب مجرم) أو الدعاء له بالنصر، والتأييد من الله (ربنا معاك يا مشير – الله يحميك يا مشير – ربنا معاك يا مشير مصر أمانة في رقبتك – ربنا معاكوا يا خير أجناد الأرض – الله يكون في عون الجيش المصري – يا شباب التحرير لا تهنوا ولا تحزنوا وأنتم الأعلون – الله معكم يا أحرار النصر قريب – حسبنا الله على الظالم ربنا معكم في التحرير – ربنا ينصر شباب بورسعيد في التحرير) أو إرجاع الأمر كله لله، ومثال ذلك (ولا تحسبن الله غافلاً عما يعمل الظالمون – إنا لله وإنا إليه راجعون – لك الله يا مصر – يا رب أصلح حال البلاد والعباد – اللهم ولي من يصلح).

سابعاً– النتائج العامة للدراسة:

من خلال العرض السابق يمكن استخلاص أهم نتائج الدراسة كما يلي:

١– يُمثل الخطاب العام حول أحداث الثورة المصرية خطاباً عفوياً تلقائياً غير رسميّ متنوع بتنوع منتجي الخطاب، واختلاف أهدافهم مستقل عن أية جهة، أو هيئة رسمية – هو ببساطة: خطاب رجل الشارع العاديّ – وهو خطاب هادف يعبر عن المواطنين أنفسهم. وهو خطاب مواكب للأحداث متفاعل معها يُمثل خطاباً سياسياً بالدرجة الأولى، وإن كان لا يخلوا من التداخل بين السياسيّ والدينيّ.

٢– لا ينعزل الخطاب العام عن سياقه، أو محيطه، وظروف إنتاجه – فهو جزء من الواقع الاجتماعيّ – وهو يمثل طريقة معينة للتحدث عن هذا الواقع، وفهمه، وتمثيله، ومحاولة صياغته، وإعادة تشكيله، ومن ثم فإن الخطاب العام حول أحداث الثورة ليس انعكاساً لأحداث الواقع السياسي والاجتماعي فقط؛ بل يمتلك رؤية خاصة، وينطلق من موقف قائم مع كونه ملتزماً بنظرة تفسيرية تكشف عن مصالح وتوجهات وأيديولوجيات مختلفة.

٣– لا تعكس الرسائل(رسائل الجمهور) على قناة الجزيرة مباشر – خطاباً عاماً واحداً بل خطابات عديدة عبرت عن قطاعات، أو شرائح، أو فئات اجتماعية مختلفة من حيث درجة وعيها بالأحداث، ومن حيث توجهاتها، ومصالحها وقد أمكن التمييز بين خمسة خطابات حسب معيار الفئة التي يعبر عنها الخطاب، والسمة الغالبة على هذا الخطاب وهي على النحو الآتى:

* الخطاب الثوريّ: وهو المعبر عن روح ثورة ٢٥ يناير، ومطالبها، ومبادئها، ويعكس رؤى أصحاب الثورة الحقيقيين وأهدافهم من الشباب والمواطنين الذين خرجوا، من أجلها الساعين؛ لتحقيق أهدافها (العيش، والحرية، والكرامة الإنسانية).

* الخطاب المناهض للثورة: أو خطاب الثورة المضادة، الذي يعبر عن الرافضين للثورة، وممن يعدون أحداثها لا تعبر عنهم، وتتعارض مع مصالحهم، وأهدافهم وهم يرون الثورة تخريباً لمصر، ومؤامرة على شعبها من الخونة، والعملاء، والمخربين.

* الخطاب المحافظ (خطاب الاستقرار): وهو يعبر عن قطاع من المواطنين يرغب في الاستقرار، ويخشى التغيير، وهدفهم الأساسيّ هو عودة مظاهر الحياة للهدوء، والأوضاع التي اعتادوا العيش في إطارها، وقد يرون في الثورة، وأحداثها فوضى تهدد بانهيار مصر، وضياعها.

* الخطاب غير المحدد (المرتبك): أو خطاب من يطلق عليهم الأغلبية الصامتة أو أولئك الذين لا يستطيعون تحديد موقفهم مما يحدث، وقد يتخذون موقف الحياد السلبيّ مما يحدث (ليسوا مع أو ضد أي طرف) ويطرحون التساؤلات التي تعبر عن ارتباكهم، وخوفهم مما يحدث لعدم إدراك الأبعاد الكاملة للأحداث.

* الخطاب العربيّ (المتعاطف): وهو خطاب المتعاطفين من الدول العربية مع مصر المحبين لها، المهتمين بشئونها المتابعين لأحداثها، إذ يعبر خطابهم عن تقديرهم لمصر، وشعبها، وخوفهم على مستقبلها.

٤- شكلت مقولات الخطاب العام بتنوعاتها (الثوري، المناهض، والمحافظ ... إلخ) تفاعلاً مع الأحداث، ومواكبة لها، كما جاءت هذه المقولات متمايزة عن بعضها بعضاً معبرة عن رؤى متعارضة. وحول هذه المقولات، واتجاهاتها، أو كيفية رؤيتها للأحداث اتضح ما يلي:

* عبر أصحاب الخطاب الثوريّ عن رؤيتهم لأحداث الثورة بمجموعة مقولات تدور في معظمها حول ضرورة استكمال الثورة (إذ هي ثورة لم تكتمل)، والاستمرار في التظاهر حتى تحقيق مطالبها فهم يرفضون الاعتداء على المتظاهرين، ويرفضون طريقة إدارة المجلس العسكريّ لشئون البلاد، ويطالبون برحيله، ولعل أبرز مقولاتهم هنا: إن المشير ومبارك وجهان لعملة واحدة، وإن من يتحمل المسئولية فيما يحدث هو المشير، والمجلس العسكري، ومن ثم كانت المطالبة برحيله هو، والمجلس العسكريّ عن السلطة، لأنهم يعوقون الثورة، ويتسببون في إفشالها، ويسعون للحكم.

* وفي المقابل كانت مقولات الخطاب المناهض للثورة ترى المتظاهرين لا يمثلون مصر كلها، وأنهم خونة يسببون خراب مصر، أما الخطاب المحافظ فقد تركزت مقولاته حول تأييد المجلس العسكريّ، والثقة المطلقة في الجيش والمشير طنطاويّ، والتحذير من إهانة

أي منهم، أو الاعتداء عليه فالجيش المصريّ هم خير أجناد الأرض، وهو صمام الأمان للوطن.

* جاء الخطاب غير المحدد؛ ليعكس الخوف، ومشاعر الحيرة مما يحدث، ومن ثم فإننا نجد مقولات هذا الخطاب ترفض رحيل المجلس العسكريّ عن السلطة، وترى أن إسقاطّ المشير يعني إسقاط لمصر، وضياعاً لها، وأخيراً انحصرت مقولات الخطاب العربيّ في الدعاء لمصر بأن يحفظها الله، وتتجاوز المحنة، ودعوة المصريين، للحفاظ على جيشهم، ووطنهم.

٥- تجاهل الخطاب العام التعليق على استقالة حكومة عصام شرف، ولم يرصد الباحث أية مقولات حولها، وربما يفسر ذلك حالة الغضب تجاه أداء هذه الحكومة، وعدم تمتعها بالصلاحيات، وقصر فترة توليها ولذلك تركزت المقولات تجاه حكومة الدكتور كمال الجنزوريّ. وفي الوقت نفسه الذى رفض الخطاب الثوري تكليف الجنزوري بتشكيل الحكومة؛ لارتباطه بالنظام السابق نجد بعض الخطابات توافق على أن يكون الجنزوريّ رئيساً للوزراء وتعده الشخص المناسب دون غيره وأخرى تطالب بتولي البرادعيّ، أو أيمن نور لهذه الحكومة.

٦- لم يحمل الخطاب العام تجاه الانتخابات البرلمانية تمايزات يمكن إدراكها، ونسبتها إلى أي من الخطابات (الثورية، أو المناهضة، أو المحافظة... إلخ) وجاءت المقولات؟ لتعكس أن الانتخابات هي أول خطوة للاستقرار، والديمقراطية، مترافقة مع الفرح بما تحقق والتفاؤل بالمستقبل، والإعجاب، والفخر بمصر، وشعبها، والدعاء بأن يتولى المسئولية من يصلح لها.

٧- عبر الخطاب العام في مقولاته عن معظم القوى المؤثرة في الأحداث وفي حين انحاز الخطاب الثوريّ إلى المتظاهرين (الثوار)، وتميز بكونه خطاباً واثقاً من نجاح الثورة، ومتفائلاً بمستقبل مصر، ورافضاً للانصراف من الميادين قبل رحيل المجلس العسكريّ، وتحقيق مطالب الثورة فنجد الخطاب المناهض للثورة يعبر عن مقولات تفسر الأحداث في ضوء فكرة المؤامرة، والتخريب كما نجد الخطاب المحافظ الذي ينحاز إلى قطاع من

المواطنين يرغب في الاستقرار، ويتجنب الفوضى في حين يركز الخطاب العربيّ على الانحياز للشعب المصريّ عامة وتأتي تفسيراته للأحداث في إطار الحرص على مصر، وشعبها.

٨- شكلت العبارات الدينية خلفية أساسية للخطاب العام بجميع تمايزاته (الثورية، والمناهضة، والمحافظة، وغيرها) فالاستعانة بالدين، واستدعاء بعض المقولات ذات الطابع الديني في تفسير الأحداث حاسمة في جميع الخطابات دون استثناء بما يعني تداخل السياسيّ مع الدينيّ في تفسير أحداث الثورة المصرية.

- الدلالات النظرية، والتطبيقية لنتائج الدراسة:

أ- الدلالات النظرية:

* تمثل نتائج الدراسة الحالية الخطاب العام تجاه أحداث الثورة، وبالأدق مجموعة من الخطابات تكوّن في مجموعها خطاباً عاماً معبراً عن رؤى منتجي هذا الخطاب وتصوراتهم كل بحسب مستوى إدراكهم، ووعيهم، وفهمهم للواقع السياسيّ، والأحداث الجارية من حولهم ومن ثم قد لا تعبر عن الخطاب العام على مستوى المجتمع المصريّ بأكمله بل هي معبرة عن قطاع من المواطنين فقط (وبالمفهوم الإعلاميّ جزء من الجمهور النشط) المتابعين لقناة الجزيرة مباشر المشاركين بآرائهم، ورسائلهم من خلالها.

* لم يتح للباحث التمييز بين مقولات بعض الخطابات تجاه أحداث معينة بسبب غياب ما يدل على أن هذا النص (أو الرسالة النصية)، أو غيره ينتمي لهذا الخطاب أو ذاك فالنص الواحد، والرسالة الواحدة قد تحمل داخلها مقولة يمكن أن تندرج تحت عدد من الخطابات كما أن الخطاب الواحد يحوي عدة من المقولات قد تتشابه، أو تختلف مع خطابات أخرى، ولعل هذا ما يتفق مع استراتيجيات تحليل الخطاب التي يقع الجهد الأكبر فيها على الباحث للوصف، والتصنيف، والفهم، والتفسير.

* وبناءً على ما سبق تبقى تصنيفات الباحث لأنواع الخطابات، وأنماطه، ومقولاته، وخصائصه، وانحيازاته في هذه الدراسة في حدود فهم الباحث نفسه وتأويلاته وهي ليست قضايا مغلقة لا تحتمل إعادة الوصف، أو التأويل، والفهم بل هي قضايا مفتوحة قابلة لإعادة الفهم، والتفسير من جانب باحثين آخرين. وهي في النهاية تحمل في طياتها رؤية الباحث،

وقناعاته، وأيديولوجيته في حدود وعيه بما يحدث حوله، وإدراكه للسياق السياسيّ والتاريخيّ لأحداث الثورة المصرية.

* تأتي الدراسة الحالية؛ لتدعم التوجه العلميّ نحو دراسات تحليل الخطاب في الدراسات الإعلامية، وتحديداً دراسات تحليل الخطاب النقديّ وهي في الوقت نفسه إبراز وتأكيد دور الدراسات الكيفية المعتمدة على الفهم، والحدس، والملاحظة المباشرة بوصفها أدوات لاستخلاص المعرفة العلمية في المجال الإعلاميّ.

ب- الدلالات التطبيقية للدراسة:

* حاول الباحث فى دراسته توفير مجموعة نتائج موضوعية يمكن الاحتكام إليها بشأن الجدل الدائر حول أحداث ثورة ٢٥ يناير و الدور الذى قامت به قناة الجزيرة مباشر ،خلال ما عرف بأحداث محمد محمود.

* لم يكن من بين أهداف الدراسة رصد التحولات فى الخطاب العام أو تناقضاته بشأن الأحداث السياسية و كذلك رصد دور بعض القوى الفاعلة فى هذا الخطاب؛ إذ أن ذلك الهدف يتطلب فترة زمنية أطول تخرج عن الإطار الزمنى للدراسة لذا فإنه من المقترح أن يتم اجراء دراسات أخرى تتناول عدة موضوعات أهمها:

- المقارنة بين تحولات الخطاب الإعلامى تجاه أحداث الثورة و انعكاس ذلك على الخطاب العام للجمهور و مدى تأثرة بهذه التحولات.
- دراسة تهتم بتحديد القوى الفاعلة فى ثورة ٢٥ يناير و دورها فى تشكيل الخطاب الإعلامى للصحف المطبوعة و القنوات التليفزيونية خلال أحداث الثورة .
- المقارنة بين خطاب بعض وسائل الإعلام الغربية و الإعلام العربى حول أحداث الثورة المصرية و تداعياتها.

* تسعى الدراسة في دلالاتها التطبيقية إلى تعميق الوعي بأهداف ثورة ٢٥ يناير، وإثراء النقاش العام، والتفكير الناقد حول مبادئ الثورة المصرية من حرية، وكرامة، وعدالة اجتماعية.

المراجع والهوامش

(١) عز الدين عبد المولى، دليل البحوث الأكاديمية حول الجزيرة ١٩٩٦-٢٠١١م، مركز الجزيرة للدراسات، الطبعة الأولى، قطر، ٢٠١١، ص ٥٤.

(٢) هبة شاهين، التلفزيون الفضائيّ العربيّ، الدار المصرية اللبنانية، القاهرة، ١٩٩٨م، ص ٣١٢.

(٣) عز الدين عبد المولى، دور الجزيرة في التحولات الديمقراطية، وتأسيس فضاء عربيّ عام، جامعة أكسترا، المملكة المتحدة، ٢٠١١م، في دليل البحوث الأكاديمية – حول الجزيرة ١٩٩٦-٢٠١١م، المرجع السابق، ص ٥٧.

(٤) مي شيغينوبو، تأثير القنوات الفضائية فى المجتمعات العربية: تحليل أثر تحديد الأجندة في قناة الجزيرة العربية، جامعة روشيشيا كيوتو، اليابان، ٢٠١١م في: دليل البحوث الأكاديمية المرجع السابق، ص ٦١.

(٥) ميغان إليزابيث، تأثير السي إن إن، والجزيرة في السياسة، والمجتمع الدوليين، جامعة جورج تاون، الولايات المتحدة الأمريكية، ٢٠١٠م، المرجع السابق، ص ١٠٧.

(٦) زياد الحديثي، العلاقة المتبادلة بين القنوات الفضائية وبين مشاهديها، جامعة غريفيث، استراليا، ٢٠١٠م، في دليل البحوث الأكاديمية، مرجع سابق، ص ٥٤.

(٧) كاي حافظ، فيليب سيب، القنوات الفضائية العربية، ديمقراطية بدون أحزاب سياسية، في: القنوات الفضائية العربية دور الشبكات الإخبارية العابرة للحدود في التحول السياسيّ، سلسلة ترجمات، المركز الدوليّ للدراسات المستقبلية والاستراتيجية، العدد ١٩ السنة الثانية، القاهرة، ٢٠٠٦م، ص ٥ – ٣٢.

(٨) غورينا كولن، الديمقراطية، وسياسة تشتيت الانتباه: الجزيرة والعالم العربيّ، جامعة لاتروب، استراليا، ٢٠٠٧م، في دليل البحوث الأكاديمية، المرجع السابق، ص ٩١.

(٩) محمد علي، الجزيرة والثورات العربية، جامعة كينجستون، لندن، المملكة المتحدة، في دليل البحوث الأكاديمية، مرجع سابق، ص ٧٠.

(١٠) إبراهيم صالح عبد اللاه، تغطية الجزيرة للثورات العربية من وجهة نظر الشباب اليمني، مركز الجزيرة للدراسات، قطر ٢٠١٢م.ص:٢-١٢.

(١١) راكيل البوكيرك، ما هو الدور الذي لعبته الجزيرة وشبكات الإعلام الاجتماعيّ في ثورتي: تونس، ومصر؟ دراسة تحليلية لدور الإعلام في السياقات الثورية في: دليل البحوث الأكاديمية، مرجع سابق، ص ١٣٠.

(١٢) غالية بديوي، تغطية الجزيرة العربية، والجزيرة الإنجليزية لأحداث الشرق الأوسط الثورة المصرية نموذجاً. كلية الدراسات الشرقية والإفريقية – جامعة لندن، ٢٠١١م: المرجع السابق، ص ١٢٤.

(١٣) باولا ديابرت، ليس من رأى كمن سمع: دور الجزيرة في الثورة المصرية، جامعة مدريد المستقلة – أسبانيا، ٢٠١١م، المرجع السابق، ص ١١٩.

(١٤) أمل العفيفي، تغطية احتجاجات ميدان التحرير من ٢٥ يناير حتى ١١ فبراير ٢٠١١م الجزيرة والBBC: دراسة مقارنة، جامعة لستر المملكة المتحدة، ٢٠١١م، المرجع السابق، ص ١١٦.

(١٥) منجي مبروكي، محددات إنتاج الخطاب الإعلاميّ لقناة الجزيرة بين التجديد التكنولوجي والتوظيف الإعلاميّ، معهد الصحافة وعلوم الأخبار، تونس، ٢٠١١م، مرجع سابق، ص ٦٣.

(١٦) عبد السلام رزاق، الخطاب الإعلامي لقناة الجزيرة الفضائية وصناعة الرأي العام، كلية الإعلام، جامعة القاهرة ٢٠١٣، ص:٦٥.

(١٧)جريدة الشروق المصرية، عدد الجمعة ١٠ فبراير ٢٠١٢م، http:www.shorouknews.com/news/view.aspx?id=7570d8a9.4909-4306-b082-f5d21d8c26bb لغة المجلس تغيرت بعد استفتاء التعديلات الدستورية وتعمد تخويف المصريين؛ ليحكم سيطرته على السلطة: خبير إعلاميّ وكأنهم مبارك.

(١٨)فاطمة الزهراء عبد الفتاح، هكذا تكلم العسكري: قراءة في تحولات خطاب المجلس الأعلى خلال عام من الحكم. جريدة المصريّ اليوم، الثلاثاء ١٤ فبراير ٢٠١٢م الموقع الإلكتروني للجريدة.

(١٩)محمد عبد الحميد، البحث العلمي في الدراسات الإعلامية، عالم الكتب، القاهرة، ٢٠٠٠م، ص ٢٩٢.

(٢٠)أريان هوليداي، إجراء البحث الكيفيّ وكتابته، ترجمة شوقي السيد الشريفيّ، هيا محمد المزروع، جامعة الملك سعود، إدارة النشر العمليّ والأكاديميّ، المملكة العربية السعودية، ٢٠٠٧م، ص ١٩.

(21)Andrew Edgar, Peter Sedgwick (ed.t), Cultural theory: the key concepts, Routledge. London, 2008, P. 96.

(22) Discourse. "The SAGE Glossory of the social and Behavioral Sciences – SAGE Publications, 13 may 2010, (http://www.sage-reference.com/behavioralsciences/articel_n758.html).

(23)Lemert, Charles. "Discourse. Encyclopedia of social theory, sage publications, 2004, 12 May 2010. http://www.sage-reference.com/socialtheory/article_n80.html).

(٢٤) نبيل عبد الفتاح (محرر) الخطاب الدينيّ مقاربة أولية، الهيئة القبطية الإنجيلية للخدمات الاجتماعية، سلسلة إصدارات منتدى حوار الثقافات، العدد ٢٧، مطبعة سيوبرس، القاهرة، الطبعة الأولى، ٢٠٠٦م، ص٨.

(٢٥)هاني خميس، الخطاب: في علي جلبى وآخرون، القاموس العصرىّ في العلم الاجتماعي، دار الثقافة العلمية، الإسكندرية، ٢٠٠٩م، ص ٩٤.

(٢٦)محمود صفار، تحليل الخطاب، وإشكالية نقل المفاهيم، رؤية مقترحة، مجلة النهضة، المجلد السادس، العدد الرابع، أكتوبر ٢٠٠٥م، ص ١٠٠.

(٢٧)د. محمد شومان، تحليل الخطاب الإعلامي، أطر نظرية، ونماذج تطبيقية، الدار المصرية اللبنانية، القاهرة، ٢٠٠٧م، ص ١٠٣.

(٢٨)هبة عبد المعز أحمد، تحليل الخطاب، موقع النور للدراسات متاح على الشبكة على الموقع الآتى: http:/www.alnoor.sc/article.asp?id=42116. ١٢(– يناير –٢٠١٢)

(٢٩)علي بن شويل القرني، الخطاب الإعلاميّ العربيّ، المجلة المصرية لبحوث الاتصال، العدد الأول، كلية الإعلام جامعة القاهرة، يناير ١٩٩٧م، ص ٣٩.

(30)Te Molder, Hedwig, Discourse theory and Analysis, "Encyclopedia of communication theory, 2009, SAGE publications, 11 Apr. 2010, http://www.sage-reference.com/communicationtheory/Article _n117.html.P:12.

(٣١)علي جلبى، وآخرون، القاموس العصريّ في العلم الاجتماعيّ، مرجع سابق، ص ٩٥.

(32)Discourse Analysis, The SAGE Glossary of the social and behavioral science, op. cit., 31 May, 2010,P:4.

(33)James Watsen, and Anne Hill, A dictionary of communication and Media studies, Edward Arnold, London, 2000, P: 2

(٣٤)أحمد زايد، صور من الخطاب الدينيّ المعاصر، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ٢٠٠٧م، ص ص ٢١، ٢٢.

(٣٥)مصطفى ناصف، اللغة، والتفسير، والتواصل، عالم المعرفة، العدد ١٩٣، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، ١٩٩٥م، ص ص ٣٣٧، ٣٣٨.

(36)Discourse, the SAGE glossary of the social and behavioral sciences, op. cit.P:3.

(٣٧)علي بن شويل القرني، مرجع سابق، ص ٣٩.

(38)Failclought, Language and power, Longman, London, 1990, p. 26.

(39)Andrew Edgar & Peter Sedgwick, (edit), op. cit., P: 96.

(٤٠)محمد شومان، مرجع سابق، ص ص ٢٥، ٢٦.

(٤١)المرجع السابق، ص ٢٨.

(٤٢)هشام عطية عبد المقصود، محددات تشكيل بنية الخطاب الدينى في الصحف اليومية دراسة تحليلية مقارنة لمضمون وتوجهات الصحف الدينية في جريدتي الأخبار والوفد ٢٠٠١، ٢٠٠٢، المجلة المصرية لبحوث الإعلام، العدد الواحد والعشرون، كلية الإعلام جامعة القاهرة، أكتوبر، ديسمبر ٢٠٠٣، ص ٣٩٤.

(43)Te Molder, Hedwig, op. cit., 2009.P:12.

(٤٤)خالد صلاح الدين، دور الإعلام التقليديّ، والجديد في تشكيل معارف الرأي العام، واتجاهاته نحو قضايا الديمقراطية وتحدياتها في مصر في إطار تحليل الخطاب الإعلاميّ، ونظرية الاعتماد، المؤتمر العلميّ الدوليّ الخامس عشر كلية الإعلام بعنوان الإعلام، والإصلاح: الواقع والتحديات الجزء الثاني، كلية الإعلام، جامعة القاهرة، ٧ – ٩ يوليو ٢٠٠٩م، ص ٨٣٥.

(٤٥)علي بن شويل القرني، مرجع سابق، ص ٤١.

(٤٦)محمد شومان، تحليل الخطاب الإعلاميّ، أطر نظرية، ونماذج تطبيقية، مرجع سابق، ص ٢٧.

(٤٧)د. أحمد زايد، صور من الخطاب الدينيّ المعاصر، مرجع سابق، ص ٢٣.

(٤٨)محمد شومان، مرجع سابق، ص ص ٢٧، ٢٨.

(٤٩)أحمد زايد، مرجع سابق، ص ٢٨.

(٥٠)محمد عبد الحميد، المدونات: الإعلام البديل، عالم الكتب، القاهرة، ٢٠٠٩م، ص: ٢٥٠.

(٥١)أحمد زايد، مرجع سابق، ص ٢٣.

(٥٢)بسام مشاقبة، مناهج البحث الإعلاميّ، وتحليل الخطاب، دار أسامة للنشر والتوزيع، الأردن، عمان، ط١، ٢٠١٠م، ص ١٠٨.

(٥٣)أحمد زايد، مرجع سابق، ص ٢٤.

(٥٤)علي جلبي وآخرون، القاموس العصريّ في العلم الاجتماعي، مرجع سابق، ص ص ٩٨، ٩٩.

(٥٥)صفاء جبارة، الخطاب الإعلامي بين النظرية والتطبيق، دار أسامة، الأردن، عمان، ط١، ٢٠٠٩م، ص ٢٩١.

(٥٦)أحمد زايد، مرجع سابق، ص ٢٤، ٢٥.

(٥٧)هبة عبد المعز أحمد، تحليل الخطاب، موقع النور للدراسات، مرجع سابق، ص٣.

(٥٨)محمد عبد الحميد، البحث العلمي في الدراسات الإعلامية، عالم الكتب، القاهرة، ط٢، ٢٠٠٠م، ص ٣٠٢.

(٥٩)محمد عبد الحميد، مرجع سابق، ص٣٠٣.

(٦٠)محمد عبد الحميد، مرجع سابق، ص ص ٣٠٤، ٣٠٥.

(٦١)أحمد زايد، صور من الخطاب الديني المعاصر، مرجع سابق، ص ٢٦.

(٦٢)محمد عبد الحميد، المدونات: الإعلام البديل، مرجع سابق، ص ٢٥١.